علاقة دولة الروم بمصر
عصري الطولونيين والاخشيديين

دكتورة ليلى عبد الجواد اسماعيل
كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار الثقافة العربية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

مطبعة جامعة القاهرة
والكتاب الجامعى
١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة

موضوع العلاقات بين دولة الروم (الدولة البيزنطية) ومصر فى العصور الوسطى من الموضوعات الجديرةبالبحث والدراسة ، وذلك لكشف النقاب عن طبيعة هذه العلاقات، وما اتسمت به من مودة وعداء ونشاط تجارى ، وتبادل ثقافى ، وتأثير اجتماعى •

والموضوع الذى يعالجه هذا الكتيب ، يتناول فترة زمنية محددة من تاريخ هذه العلاقات وهى (عصرى الطولونيين والاخشيديين) •

وقد تناولت فى هذه الدراسة العلاقات بين دولةالروم (الدولة البيزنطية) ومصر فى تلك الفترة والتى لم تكن قاصرة على العـلاقات العـدائية — ممثلة فى الحـروب والاغارات التى تبادلها الطرفان ، ولكنها اتسمت كذلك بكونها علاقات سلمية ، فقد تبادل أباطرة الروم وامراء مصر الرسائل والخطابات والرسل والسفارات من أجل عقد المعاهدات والهدن لتبادل الاسرى واتمام عمليات الفداء •

فضلا عن ذلك فان الاغارات البرية والبحرية المتبادلة بين الطرفين لم تقف حائلا دون استمرار النشاطالتجارى

بينهما ، فقد شهد عصرى الطولونيين والاخشيديين فى مصر والشام — وكانتا وحدة واحدة فى الفترة موضوع الدراسة — رواجا تجاريا عظيما وانتعاشـــا فى حـــركة التجـــارة ، وليس أدل على ذلك من اقامـــة وكالتـــين بالقسطنطينية للتجار السوريين أحدهما لتجار الحـــرير الفاخر والاخرى لتجار التوابل والعطور ، هذا فضلا عن اقبال التجار البيزنطيين على شراء السلع التى اشتهرت مصر بانتاجها فى ذلك الوقت وعلى رأسها المنســوجات الحريرية والكتانية والشب والورق .

والى جانب العلاقات السياسية والتجارية بين دولة الروم (الدولة البيزنطية) ومصر فى عصرى الطولونيين والاخشيديين كانت هناك تأثيرات اجتماعية وثقافية خاصة وان عنصر الروم كان من بين العناصر التى تكون منهـــا المجتمع المصرى فى تلك الفترة التى كان لها تأثير واضح على الحيـــاة الاجتمـــاعية فى مصر عصرى الطولونيين والاخشيديين .

والله ولى التوفيق

ليلى عبد الجواد اسماعيل

القاهرة فى ذى الحجة ١٤٠٨ هـ

يوليو ١٩٨٨ م

استطاع ولاة مصر فى عصرى الطولونيين والاخشيديين تأسيس دولة مستقلة فيها عن الخلافة العباسية فى بغداد • حقيقة أن مصر ظلت ترتبط بحاضرة الخلافة ببعض الروابط الا أنه أصبح لمصر كيانها الخاص بها ، وشخصيتها الذاتية المستقلة ، وتبعا لذلك تغيرت بعض أوضاعها وعلاقاتها الخارجية • هذا فضلا عن امتداد نفوذ أمراء مصر فى عصر الطولونيين والاخشيديين على جزء كبير من بلاد الشام مما جعل من مصر والشام فى ذلك العصر وحدة واحدة ، فازدادت مصر قوة بضم الشام اليها ، وأصبحت مصر بوحدتها مع الشام قوة يحسب حسابها ، ويرهب جانبها حتى أن دولة الروم (الدولة البيزنطية) أخذت تنظر الى هذه القوة الجديدة بعين الاهتمام ، وبعد أن كانت تركز نشاطها السياسى والعسكرى لمواجهة الدولة العباسية ، بدأت توجه انظارها نحو مصر ، وتحاول ان تقيم معها علاقات دبلوماسية على نحو ما سنرى •

وفى الوقت الذى عاشت مصر عصرا جديدا هو عصر الاستقلال عن الخلافة العباسية شهدت الدولة البيزنطية بدورها ميلاد عصر جديد وهو عصر الأسرة المقدونية (٨٦٧ — ١٠٢٥ م) الذى يعرف فى التاريخ البيزنطى (بالعصر الذهبى) اذ عمل اباطرة هذه الأسرة على احياء مجد الامبراطورية البيزنطية الحربى ، حتى غدت بيزنطة

القوة الرئيسية فى حوض البحر المتوسط الشرقى ، كما لعب اباطرة هذه الأسرة دورا هاما ومتميزا فى تاريخ العلاقات الاسلامية البيزنطية ، وتنسب هذه الاسرة الى مؤسسها الامبراطور باسل الأول المقدونى Basil I الذى نجح فى الاستيلاء على العرش البيزنطى فى عام (٢٥٣ هـ / ٨٦٧)(١)

تمكن الامبراطور باسل الأول (٢٥٣ — ٢٧٣ هـ / ٨٦٧ — ٨٨٦م) مـن القضـاء على البولصيين (البيالصة) (٢) الذين مثلوا عقبة كئود فى طريق تقدمه نحو

---

(١) عن كيفية وصول باسل الأول الى العرش انظر :
Gibbon, the decline and Fall of the Roman Empire, Vol. V, pp. 201-204, Ostrogorsky, History of the Byzantine State, PP. 206-207.

الباز : الدولة البيزنطية ، ص ٣٢٣ — ٣٢٦ ، أسد رستم ، الروم ، جـ ٢ ، ص ٤ — ٦ .

(٢) البيالصة أو البولصيون Paulicians من أصل ارمنى وكانوا على مذهب بولص الشمشياطى الذى يقول بأن المسيح انسان فقط وان الله تبناه ، ولذلك اضطهدهم الاباطرة البيزنطيون لأنهم لا يدينون بمذهب الامبراطورية ، وتركز هؤلاء البولصيون فى الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية المتاخمة لحدود المسلمين ، وتحصنوا فى عدة قلاع من اهمها تغريك ، وارتبطوا بروابط طيبة مع جيرانهم المسلمين فى امارة ملطية ، وكانوا عونا لهم فى اغاراتهم على الاراضى البيزنطية ، لمزيد من التفاصيل انظر

Lebeau, Histoire du Bas- Empire, T. 13, PP. 275-78., Finlay, History of Greece, Vol. 2, PP. 243-45.

=

الشرق ، وكان قائد البولصيين قد زحف بقواته داخل الأراضى البيزنطية ، ونجح فى الوصول الى نيقوميديا ونيقيه وافسوس ، واعتقد انه بامكانه الاستيلاء على آسيا الصغرى ، غير أن الامبراطور باسل نجح فى أن يضع حدا لاغارات البولصيين وقائدهم فى آسيا الصغرى ، وأحرز انتصارا حاسما عليهم ، ودمر أهم معاقلهم وهى قلعة تفريك Tephrik ، وقتل صاحبها خريسو خيروس Chrysocheirus فى عام (٢٥٩ / ٨٧٢ م) كما ضرب باسل استحكامات أخرى عديدة للبولصيين • وبذلك تخلص باسل من تلك العقبة التى حالت بينه وبين الزحف نحو الشرق (١) •

استغل الامبراطور باسل الأول بعد ذلك حالة الضعف والفوضى والاضطراب التى انتابت الدولة العباسية فى

= وسام عبد العزيز ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٥٩ .

(١) عن الاستيلاء على قلعة تفريك وتدميرها أنظر :
Theophanes, Continuatus, in C.S.H.B., PP. 271-76., Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 13, PP. 282-83, Finlay, History of Grecce, Vol. 2, P. 246., Brehier, Vie et Mort, P. 132., Gibbon, the decline, Vol. V, P. 205, Ostrogorsky, History of the Byzantine State, P. 211.

بغداد ، نتيجة لازدياد نفوذ الاتراك فى حاضرة الخلافة ، وما اسفر عن ذلك من ظهور بعض الدول المستقلة ومن بينها الدولة الطولونية فى مصر (١) ، وبدأ يوجه أنظـاره صوب الحدود البيزنطية الاسلامية فى آسيا الصغرى ، ليضـع حدا لاغارات المسلمين المتكررة • ولذلك وضـع الامبراطور باسل خطة تتلخص فى الاستيلاء على القلاع التى تتحكم فى المرات الواقعة على الحدود بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية ، وانتزاع تلك القـلاع من أيدى المسلمين ، وكانت قلعة لؤلؤة من أهم تلك القلاع ، فهى مفتاح الممر المعروف بأبواب قيليقية ، وتكمن أهميتها فى كونها تتحكم فى عدة ممرات هامة ، وكان وجود تلك القلعة فى أيدى المسلمين من دواعى فزع البيزنطيين ، وقد عبر ابن الأثير عن ذلك بقوله « كانت قلعة لؤلؤة شجـا (أى شـوكة فى حلق العـدو » (٢) كمـا كانت « من قـلاع

---

(١) عن قيام الدولة الطولونية ومؤسسها احمـد بن طولون انظر البلوى ، سيرة احمد بن طولون ، ص ٣٣ — ٣٤، ٤٦ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، م ٧ ، ص ٣٠٩

طرســـوس (١) فى نحــر العـــدو » على حـــد تعبـــير ابن خلدون (٢) .

وحاولت القوات البيزنطية الاســتيلاء على قلعـــة لؤلؤة من أيدى المسلمين ونجحت فى ذلك بالفعل فى عام ٢٦٣هـ / ٨٧٦ م (٣) ، وتذكر المصادر العربية (٤) ان من أسباب ضياع قلعة لؤلؤة من أيدى المسلمين اخفاق من

---

(١) طرسوس مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم ، ويشقها نهر صغير يقال له البردان ، لمزيد من التفاصيل انظر ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ، صورة الأرض ، ص ١٦٨ — ١٦٩ ، ياقوت الحموى، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٨ ، عليه الجنزورى ، الثغور البرية ، ص ٢٩ — ٣٠ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ق ١ ، ص ٦٤٢ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٩١ — ٩٢ ، البلوى ، سيرة أحمد بن طولون ، ص ٩٠ .

Theophanes, Continuatus, PP. 277-78, Brehier, Vie et Mort, PP. 133.

(٤) ابن سعيد ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٩١ — ٩٢، البلوى ، المصدر السابق ص ٩٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ، ق ١ ص٦٤٢ .

عينتهم بغداد لحفظ الثغور الشامية (١) وحمايتها ، اذ لم يهتم أمير الثغور من قبل بغداد ، وكان يدعى ارخوز أو أرجوان بن يولغ بن طرخان التركى بأمر الدفاع عن الثغور وتشاغل بالطعام والشراب ، وأخر عن أهل لؤلؤة أرزاقهم وميرتهم ، فشكوا لأهل طرسوس مهددين بتسليم القلعة للبيزنطيين ، اذا لم ترسل اليهم أرزاقهم وميرتهم ، ونظرا لاهتمام أهل طرسوس بأمر هذه القلعة ، فقد أرسلوا الى حاميتها مبلغا من المال (٢) ، ولكن طمع

---

(١) الثغور الشامية ، اطلق على الحصون الشمالية الملاصقة للحدود البيزنطية اقليم الثغور وانقسم هذا الاقليم الى قسمين احداهما فى الشمال ويسمى (الثغور الجزرية) ويدافع عن شمال العراق ومن أهم حصونه زبطره والحدث ، أما القسم الثانى فيسمى (بالثغور الشامية) وهو فى الجنوب الغربى ومن اهم حصونه طرسوس واذنه والمصيصة . أنظر ابن خردازبه ، المسالك والممالك ، ص ٩٩ — ١٠٠ ، قدامه ابن جعفر ، الخراج ص ٢٥٣ ، العدوى ، « دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية » ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية (اكتوبر ١٩٤٩ م) ص ٨٧ .

(٢) يذكر ابن سعيد ان المبلغ قدره خمسة آلاف دينار ، فى حين يذكر كل من البلوى وابن الاثير ان قدره خمسة عشرة الف دينار ، انظر ابن سعيد ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٩٢ ، البلوى ، المصدر السابق ، ص ٩٠ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، م ٧ ، ص ٣٠٩ .

فيه ارخوز وأخذه لنفسه ولم يرسله الى حامية لؤلؤة ، لذلك اضطرت الحامية الى تسليم القلعة للبيزنطيين .

وبعد نجاح البيزنطيين فى الاستيلاء على قلعة لؤلؤة ، تمكن الامبراطور باسل الأول من الاستيلاء على عـدة حصون أخرى هامة كانت تسيطر على المعابر المؤدية الى آسيا الصغرى ومن بينها ميلوس Melus (١) .

وحـاول أمـير الثغـور الشـامية وكان يدعـى عبد الله بن رشـيد بن كاوس انقـاذ الموقف ، فهاجم الأراضى البيزنطية فى عام (٢٦٤هـ / ٨٧٧م) على رأس أربعة آلاف مقاتل من أهل الثغور الشامية ، ولكن بعد أن ضرب جنـوب قبادوقيـا Cappadoce فجأه جيش الثغور البيزنطية وهاجمه بطارقة سلوقية وخرشـنه (٢)

---

(١) Theophanes, continuatus, PP. 278-79., Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 13, P. 286.

(٢) حفل الطرف الشرقى لآسيا الصغرى بالعديد من الثغور البيزنطيـة ومن بينها ثغور خرشـنه Charsianon بالقرب من ملطيـه وليكاندوس Lycandus وسـيواس Sebastea ولكونيـا وغيرها . انظـر البـاز ، الدولة البيزنطية ، ص ٣٥٤ .

وغيرهم ، وحاصروه قرب طرســـوس فى أثناء عـــودته ، وقتلوا عددا كبيرا من رجاله ، وأخذوه أســـيرا بعد أن أصابته ضرباتهم ، وحمل عبد الله بن رشيد الى قلعـــة لؤلؤة ، ثم نقل منها على البريد الى الامبراطور البيزنطى باسل الأول (١) .

وترتب على تلك الانتصارات التى أحرزها الامبراطور البيزنطى باسل الأول أن أصبحت ممتلكات المسلمين فى قيليقية مهددة بالخطـــر البيزنطى ، وهنـــا بدأ الخليفة العباسى المعتمد (٢٥٦ — ٢٧٩هـ / ٨٦٩ — ٨٩٢م) يشعر بالقلق وأرسل الى أمير مصر أحمد بن طولون — وكانت أقدامه قد رسخت فى مصر وأصبح لديه جيش قـــوى — يطلب منه أن يتولى أمر الدفاع عن الثغور الشامية (٢)

---

(١) الطبرى ، تاريخ الطبرى ، جـ ٩ ، ص ٥٣٣ — ٣٤، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٣١٢ ، النويرى ، نهاية الأرب، جـ ٢٢ ، ص ٣٣٤ ، Brehier, Vie et Mort, P. 133.

(٢) عن تقلد احمد بن طولون ولاية الثغور الشامية انظر: الكندى ، الولاة والقضاء ، ص ٢١٧ .

وأن يتصدى لهجمات البيزنطيين ، كمـا طلب منه انفـاذ طائفة من أصحابه الى الثغور لضبطها (١) •

العلاقات العدائية بين الدولة البيزنطية ومصر عصرى الطولونيين والأخشيديين :

ويمكن تقسيمهـا الى : أولا : هجمـات برية •

ثانيا : اغارات بحرية :

أولا : الهجمات البريـة :

منذ اللحظة التى عهد فيهـا الخليفـة المعتمـد الى أحمد بن طولون بأمر الدفاع عن الثغور وحمايتها مـن الخطر البيزنطى الذى يتهددها يبدأ الاحتكاك الفعلى بين الطولونيين أمراء مصر والشـام وبين البيزنطيين ، اذ سرعان ما اتخذ أحمد بن طولون خطوات عملية لمواجهة

---

(١) البلوى ، سيرة احمد بن طولون ، ص ٩١ ، ابن سعيد المغرب ، جـ ١ ، ص ٩٢ ، الكندى ، الولاة ، ص ٢١٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٣٠٩ ، ابن خلدون ، العبرة ، ٤ ، ق ١ ، ص ٦٤٢ •

Zaky Hassan, Les Tulunides, P. 157, Finlay, History of Greece, Vol. 2, P. 246.

الخطر البيزنطى فى منطقة الثغور الشامية ، فأناب عنه فيها طخشى بن يلبرد ، وكلفه باصلاح شئونها وأوصاه « بحسن العشرة لأهلها ، وجميل السيرة فيهم ، واحتمال هفواتهم » (١) .

وقام طخشى بواجبه خير قيام ، وقدم خدمات جليلة لأهالى الثغور ، ووقف وقفة مشرفة فى وجه البيزنطيين ، اذ تصدى للامبراطور البيزنطى باسل الأول حينما خرج على رأس جيشه فى عام ٢٦٤هـ / ٨٧٧م محاولا أن يمد فتوحاته فى آسيا الصغرى ، بهدف اخراج المسلمين من قيليقية ، ورغم نجـاح الامبراطور فى تخريب الاقليم الواقع فيما وراء ممرات جبال طوروس وحتى ضـواحى جرمانيكا (مرعش Germanicia) واذنه (٢) وطرسوس الا أنه لم يستطع الاستيلاء على أى من هذه المدن ، وعاد

---

(١) البلوى ، سيرة احمد بن طولون ، ص ٩١ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٩٢ ، الكندى ، الولاة ، ص ٢١٧ .

(٢) اذنه بلد من الثغور الشامية ، تقع على نهر سيحان قرب المصيصة ، وعنها انظر : ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ١٢٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، عليه الجنزورى ، الثغور البرية ، ص ٥٤ وما يليها .

الى القسطنطينية سفر اليدين بفضل تصدى طخشى — أمير الثغور من قبل أحمد بن طولون — له (١) .

وواصل الجيش البيزنطى هجماته على الثغور الشامية — رغم عودة الامبراطور الى عاصمته القسطنطينية ، اذ يذكر المؤرخ البيزنطى ثيوفانيس Theophanes أن الامبراطور عهد الى القائد أندرياس الاسكيثى Andreas Ille Scytha (٢) بقيادة الجيش ، فعسكر هذا القائد على مقربة من طرسوس ، وعلم أمير الثغور بذلك ، فأرسل الى القائد البيزنطى خطابا يتحداه فيه بقوله : « اننى مستعدا للانضمام اليكم ، والالتحاق بكم لارى ما هى المساعدات التى تستطيعون الحصول عليها من ماريا (أى مريم) ومن ابنها لمواجهة جيش تحميه ذراع نبيه » (٣) ، ويتابع المؤرخ البيزنطى ثيوفانيس

(١) Lebeau, Histoire du Bas-Empire, Vol. 13, PP. 292-93.

(٢) اندرياس الاسكيثى وهو حاكم اقليم الهلسبونت ، ومنحه الامبراطور باسل لقب بطريق وجعله قائدا لحرسه ، ثم حاكما لا قليم الهلسبونت : انظر

Lebeau, Op. cit., T. 13, P. 292.

(٣) Theophanes, Continuatus, P. 284.

وانظر ايضا :

Lebeau, Op. cit., T. 13, P. 292, Zaky Hassan. Les Tulunides, P. 157.

روايته فيذكر أنه على الرغم من التحدى السافر الذى شعر به القائد البيزنطى اندرياس ، الا أنه كان واثقا فى عناية السماء ورعايتها له ، ولذلك أخذ يشجع جنوده ويبث فيهم روح الثقة ، ثم خرج بهم للقاء المسلمين عند نهر بودان Podando (١) على مقـربة من طرسـوس ، وأنزل بهم هزيمة فادحة ، اذ لم ينجو من جيش المسلمين سوى مؤخرته التى كانت على مقربة من طرسوس (٢) .

ولم يستغل اندرياس Andreas انتصاره هـذا فى الهجوم على مدينة طرسوس ذاتها ، بل اكتفى بما حققه من انتصار وعاد بالغنائم ، لذلك استغل بعض الحاقدين على اندرياس من رجال البلاط سوء تصرفه هذا ، فى الايقاع به عند الامبراطور باسـل الأول وكان من بين هؤلاء الحاقدين شخص يدعى Styppiota أخذ يتقرب الى الامبراطور ، ووعده بأنه سوف يسلمه أمير طرسوس

---

(١) لعل المقصود هنا نهر بردان وعنه انظر المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ٥٢ .

(٢) Theophanes, Continuatus, PP. 285-86.

وانظر ايضا :

Lebeau, T. 13, P. 293, Zaky Hassan, Les Tulunides, P. 157, Finlay, History of Grecce, Vol. 2, P. 247.

فى بضع أيام ، وأنه سوف يخرج المسلمين من آسـيا الصغرى وازاء هذه الوعود التى بهرت الامبراطور ، قام الأخير بعزل اندرياس من قيادة الجيش البيزنطى ، وعين Styppiota قائدا لجيوشه(١) •

عسكر Styppiota فى سهل فسيح على مقربة من طرسوس ، ولكن دون أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لقتال المسلمين ، ويذكر المؤرخ البيزنطى ثيوفانيس أن المسلمين انتهزوا هذه الفرصة ، وانقضوا على معسكر Styppiota ليلا ، فاستيقظ الجند البيزنطيون فى فزع وخـوف ، فوجدوا المسلمين قد احاطوا بهم من كل جهة ، وعندئذ ادركوا انه ليس أمامهم من سبيل سوى الفرار نجـاة بأنفسهم وكان Styppiota قائد الجيش البيزنطى على رأس الفارين ، وترك جيشه تحت رحمة المسلمين الذين لم يشعروا بالكلل أو التعب من قتال البيزنطيين على حد تعبير ثيوفانيس(٢) •

---

(١) Theophanes, Continuatus, PP. 286-87., Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 13, PP. 293-94.

(٢) Theophanes, Continuatus, PP. 287-88.

وانظر ايضا :

Lebeau, Histoire, T. 13, P. 294, Zaky Hassan, Les Tulunides, P. 157.

ويرجع فشل البيزنطيين فى الاستيلاء على طرسوس الى أن قبضة أمير مصر أحمد بن طولون كانت قوية على الثغور الشامية ، فلم يكتف ابن طولون بتعيين نائبا عنــه فى منطقة الثغور ، بل حرص على أن يخرج اليها بنفسه لقتال البيزنطيين ، فبعد أن تمكن أحمد بن طولون مــن فتح مدن الشام فى حملته الأولى [١] مضى الى طرسوس فى عام (٢٦٥هـ / ٨٧٨م) وعزم على المقام بها وملازمة الغزاة فيها لكونها أقرب الثغور الشامية الى الحــدود البيزنطية [٢] .

وخلال اقامة أحمد بن طولون بثغر طرسوس ، أظهر مدى حرصــه على أن تكون لهــذا الثغر هيبته فى قلب الامبراطور البيزنطى ، وظهر ذلك بجلاء من خلال موقفه الشجاع تجاه أهل طرسوس ، عندما تذمروا لارتفاع الأسعار فى بلدهم نتيجة لاقامة ابن طولون وجنــوده بالثغر ، وخيروه بين أن يقيم فى الثغر فى عدد يسير من

---

(١) عن فتح أحمد بن طولون لبلاد الشام انظر : الكندى ، الولاة ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ ، المســعودى ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٤١١ — ١٣ ، ابن الاثير ، الكامل م ٧ ، ص٣١٦ — ١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ، ق ١ ، ص ٦٤٣ — ٦٤٤ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٣١٧ .

جنوده أو يرحل عنه ، فما كان من ابن طولون إلا أن قال لجنوده : « انهزموا عنهم ، وأظهروا الخـوف منهم ، وأخرجوا من بلدهم »(١) وان دل ذلك على شيء فانمـا يدل على سعة صدر ابن طولون وبعد نظره ، لأنه كان يدرك تماما أن الامبراطور البيزنطى باسل على علم بما يجرى فى الثغر ، وعندما يشعر بأن ابن طولون بقوته وعدته الهائلة وجنوده ، وبعد صيته ، انهزم أمام أهل طرسوس ، ولم يقدر عليهم ، فانه لن يستهين بهذا الثغر المنيع ولا يستخف به(٢) .

ونتيجـة لتلك السياسـة الحكيمـة التى اتبعهـا أحمد بن طولون تجاه الثغور الشامية ، فشل البيزنطيون فى الاستيلاء على طرسوس ، وعجزوا أمامها ، واضطر الامبراطور باسل لعقد الهدنة مع أحمد بن طولون ، فتذكر المصادر العربية انه « ورد على أحمد بن طولون كتاب ملك الروم ، يسأله الهدنة مدة كذا وكذا ، فأجابه الى ذلك »(٣) .

---

(١) البلوى ، سيرة احمد بن طولون ، ص ٩٧ .

(٢) البلوى ، نفس المصدر ، ص ٩٧ — ٩٨ ، الكندى الولاة ، ص ٢٢٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٣١٧ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ .

(٣) البلوى ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٩٨ ، ولمزيد من التفاصيل حول عقد هذه الهدنة انظر ما يلى .

ومع أن أحمد بن طولون قبل عقد الهدنة مع الامبراطور البيزنطى ، الا أنه كان يدرك تماما أن الامبراطور لم يطلب عقد الهدنة رأفة بالمسلمين أو اشفاقا من سفك دمائهم ، وانما طلبها لكثرة ما أصاب جنوده من مهاجمى الثغور ، وما تعرضت له حصون البيزنطيين وقلاعهم من تخريب وتدمير على أيدى المسلمين ، هذا فضلا عن أن الامبراطور البيزنطى باسل الأول تعرض فى ذلك الوقت لضغوط من قبل أعداء الامبراطورية الآخرين مما اضطره الى عقد الهدنة مع أحمد بن طولون (١) ولذلك كتب أحمد بن طولون الى طخشى بن يلبرد — عامله على الثغور — فى طرسوس ، يطلب منه القيام برم الثغور ، واصلاحها وتحصينها ، أن يقوم بتوزيع المال والطعام على المحاربين الفقراء ، الذين أضرت بهم الهدنة ، لأنهم اتخذوا من الجهاد ضد البيزنطيين حرفة يتعايشون منها ، والذين خسروا بهذه الهدنة كل ما اعتادوا الحصول عليه من غنائم ، فقد جاء فى كتاب ابن طولون لطخشى : « وفرق فى صعاليك الثغر ممن أضرت به هذه الهدنة

---

(١) البلوى ، سيرة احمد بن طولون ، ١٠٩ — ١١٠ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٩٨ .

ما يقيم أوداهم ويكفيهم ، وأوسع عليهم فى ذلك »[١] .

وهكذا أفاد ابن طولون من الهدنة فى اعداد الحصون وتجديدها وتجهيزها ، استعـدادا للاستمرار فى قتـال البيزنطيين ، وحتى لا تكون الهدنـة خدعة مـن جانب البيزنطيين ويعقبها هجوم مفاجىء[٢] .

وصـدق حدس ابن طـولون ، اذ ما لبث أن نقض البيزنطيون الهدنة ، وعادوا يغيرون على الثغور ثانية ، ففى جمادى الأولى من عام ٢٦٥هـ / ديسمبر ٨٧٨م قام البيزنطيون بالاعتداء على اذنه ، وقتلوا عددا كبيرا من سكانها ، وأسروا عـددا آخـر ، وكان من بين الأسرى ارخوز الذى كان يلى الثغور من قبل ثم عزل عنها [٣] ، وأقام فى اذنه مرابطا[٤] .

---

(١) البلوى ، سيرة احمد ابن طولون ، ص ١١٠ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٩٨ . وانظر ايضا سـيدة الكاشف ، احمد بن طولون ، ص ١١٨ ، Zaky Hassan, Les Tulunides, P. 158.

(٢) حسن احمد محمود ، حضارة مصر الاسلامية ، ص ٩٠ .

(٣) أنظر ما سبق ص ١٢ — ١٣ .

(٤) الطبرى ، تاريخ الطبرى ، جـ ٩ ، ص ٥٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٢٧ ، عليه الجنزورى ، الثغور البرية ، ص ٥٥ ، Brehier, Vie et Mort, P. 133.

ورد أحمد بن طولون على الهجوم البيزنطى على اذنه بحملة انتقامية فى العام التالى (٢٦٦هـ / ٨٧٩م) اذ أرسل ابن طولون نائبه الجديد على الثغور الشـامية وهو سيما — فى جيوش طرسوس لقتـال البيزنطيين ، فأغاروا على الأراضى القريبة من هرقلة (١) ، وأنزلوا باهلها من الروم البيزنطيين خسائر فادحة (٢) • وفى نفس العـام قاتل لؤلؤ غـلام أحمد بن طولون جماعة مـن البيزنطيين ، وقتل كثيرا منهم (٣) •

وواصل نواب أحمد بن طولون على الثغور الشامية اغاراتهم على البيزنطيين ففى عام (٢٦٨هـ / ٨٨٠م) استطاع خلف الفرغانى التركى — نائب ابن طولون فى الثغور الشـامية — أن يحقق النصر على البيزنطيين ، وقتل الكثيرين منهم ، وعاد بكثير من الغنائم والاسلاب (٤)

---

(١) عن هرقلة انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٩٨ — ٣٩٩ .

(٢) الطبرى ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٥٥٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٣٣٦ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص ٣٩ .

(٤) الطبرى ، جـ ٩ ، ص ٦١٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٣٧٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٤٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٤٤ .

وعندما هاجم البيزنطيون قلمية [1] — على بعد ستة أميال من طرسوس — فى عام (٢٧٠هـ / ٨٨٣م) تصدت لهم قوات أحمد بن طولون ، وعلى رأسها يازمان الخادم [2] فأنزلت بالبيزنطيين هزيمة فادحة ، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة احتوت على سبعة صلبان من ذهب وفضة ، والصليب الأعظم وهو من ذهب خالص مرصع بالجواهر ، وأربعة كراسى من ذهب ، ومائة كرسى من فضة ، وآنية كثيرة ، هذا فضلا عن عشرة آلاف علم من ديباج ، وحرير كثير وأموال جزيلة ،وخمس عشرة ألف دابة ، وسروج وسلاح وسيوف وغير ذلك [3] .

وهكذا استطاع أحمد بن طولون أن يقـــوم بالمهمة التى القيت على عاتقه خير قيام ، ونجح فى التصدى للبيزنطيين وايقاف عدوانهم على الثغور الشامية ، وكان

---

(١) عن قلمية انظر : ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ١٣٤ ، صورة الأرض ، ص ١٨٣ ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٩٢ .

(٢) نصب يازمان الخادم واليا على طرسوس فى ربيع الأول من عام ٢٧٠ هـ / سبتمبر ٨٨٣ م .

(٣) الطبرى ، جـ ٩ ، ص ٦٦٦ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ٧٠ — ٧١ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص٤٠٦ — ٤٠٧ . ابن كثير ، البداية ، جـ ١١ ، ص ٤٥ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٨٤ ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٢٢ ص ٣٣٩ ، Lane-Poole, A History of Egypt, P. 70.

ساعده فى ذلك نوابه على الثغور ، ورجال مصر ومواردها ، فقد خصص ابن طولون جزءا من أموال مصر واقطاعاتها وأوقافها لاصلاح الثغور ، واذكاء شعلة الجهاد فى نفوس أهلها ، فكانت تحمل اليها من مصر الأمــوال والســلاح والثياب ما لم يحمله اليها أحد قط (١) .

توفى أحمد بن طولون فى ذى القعدة من عام ٢٧٠هـ / مايو ٨٨٣م فواصل ابنه وخليفته خمارويه (٢٧٠هــ٢٨٢هـ/ ٨٨٤ — ٨٩٥م) سياسة الجهاد ضد البيزنطيين واستمرت قوات المسلمين البرية توغل فى آسيا الصغرى ، وعلى رأسها يازمان أمير طرســوس فتذكر المصادر العربيــة « أن يازمان غزا الصائفة فى عام ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م (٢). هذا وقد هيأ خمارويه لنفسه الظروف التى ساعدته على الاستمرار فى قتال البيزنطيين ، فقد تصالح مع حاضرة الخلافة ، وأرسل له كل من الخليفة المعتمد وأخيه الموفق طلحة وابنه كتابا فى رجب ٢٧٣هـ / ديسمبر ٨٨٦م بولايته على الشام جميعه والثغور الشامية لمدة ثلاثين عاما ،

---

(١) البلوى ، سيرة احمد بن طولون ، ص ١٨٤ ، حسن محمود ، حضارة مصر ، ص ٨٨ ، مصر فى عصر الطولونيين ، ص ٤٩ .

(٢) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٤١٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٦٧ .

وبذلك حصل خمارويه على تلك الصفة الشرعيـــة التى جاهد ابن طولون طويلا من أجل الحصول عليها ، واتيح لخمارويه بذلك أن يبسط نفوذه على منطقـــة الثغور ، ويواصل سياسة أبيه فى الجهاد ضد البيزنطيين (١)٠

أما الامبراطور البيزنطى باســـل الأول فقد اضطر أن يولى وجهه شطر ارمينية لعله يجد فيها حليفا له فى حربه ضد المسلمين ، وبادر باسل بالاعتراف باشوت الأول Ashot I ملكا على ارمينية سنة (٢٧٣هـ / ٨٨٦م) ، وارتبط باسل مع ارمينية بنوع من التحالف والعلاقات الودية ، وذلك ليجعل مـــن ارمينية دولة حاجزة ضـــد المسلمين فى الشرق (٢) ٠

على أن الامبراطور باسل الأول لم يلبث أن توفى فى نفس العام (٢٧٣هـ / ٨٨٦م) من جراء جرح أصابه أثناء الصيد ، فخلفه ابنه ليو السادس (٢٧٣ — ٣٠٠هـ /

---

(١) الكندى ، الولاة ، ص ٢٣٧ — ٢٣٨ ، المسعودى مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢١ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٨٢ ، المقريزى ، المواعظ ، ج ١ ، ص ٣٢١ وانظر ايضا حسن محمود ، حضارة مصر الاسلامية ، ص ١٢٤ ، مصر فى عصر الطولونيين ص ٦٢ — ٦٣ ٠

(٢) صابر دياب ، ارمينية ، ص ١٤٣ ، الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٣٧٨ ،
Cam. Med. Hist., Vol 4, P. 140.

٨٨٦ — ٩١٢م) على عرش الامبراطورية البيزنطية ، ولم يكن ليو السادس فى مقدرة أبيه الحربية ، كما كان يميل الى التأمل والبحث حتى لقب (بالحكيم أو الفيلسوف) وانشغل ليو السادس لفترة طويلة من حكمه تكاد تصل حوالى عشرين عاما بأن يكون له وريث ذكر يخلفه على عرش الامبراطورية ، ولذلك اتبع سياسة سليمة تجاه المسلمين ، اذ لم يخرج قط على رأس جيشه لمهاجمتهم أو الاحتكاك بهم(١) •

أفاد يازمان — أمير طرسوس — من سياسة ليو السلمية هذه وشدد هجماته على الأراضى البيزنطية ، ففى رمضان من عام (٢٧٤هـ / يناير ٨٨٨م) أوغل يازمان فى الأراضى البيزنطية ، وأقع بكثير من أهلها ، وغنم وسبى واسر أعدادا كبيرة منهم ، وعاد سالما الى طرسوس(٢) •

---

(١) قسطنطين السابع ، ادارة الامبراطورية ، ترجمة محمود سعيد عمران ، ص ٩ — ١١ ،اسد رستم ، الروم ، جـ ٢ ، ص ١٣ ،

Gibbon, The decline, Vol. V, PP. 206-207.

(٢) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ١٣ ، ابن الجوزى ، المنتظم، جـ ٥ ، ص ٩٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٤٢٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٧١ •

وسرعان ما أدرك الامبراطور ليو السادس — مثلما أدرك أبوه من قبل — تفوق قادة الثغور الاسلامية ، ولاسيما يازمان أمير طرسوس على الجيوش البيزنطية العاملة فى تلك المناطق ، لذلك اتجه هو الآخر شطر ارمينية ليجد فيها حليفا له ونصيرا ضد المسلمين ، وعلى ذلك جدد ليو اعتراف أبيه باشوت الأول ملكا على ارمينية وذلك فى عام (٢٧٤هـ / ٨٨٧م) ، ودعا ليو أشوت الى زيارة القسطنطينية ، وذهب أشوت الى القسطنطينية بالفعل لمقابلة ليو ، ووقعا سويا معاهدة سياسية تجارية هناك (١) .

وسعى خمارويه لكسب ود يازمان أمير طرسوس خاصة بعد الانتصارات التى حققها على البيزنطيين ، فاستماله وتلطف به — على حد تعبير ابن تغرى بردى (٢) — وذلك ليضمن بقاء الثغور تحت سيطرته ، وراسله فى عام (٢٧٧هـ / ٨٩٠م) وأرسل اليه ثلاثين ألف دينار لتكن عونا للمدافعين عن الثغر ، كما أرسل اليه خمسمائة ثوب

---

(١) الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٣٧٨ ، صابر دياب ، ارمينية ، ص ١٤٣ ، Brehier, Vie et Mort P. 153. احمد عبد الكريم ، المسلمون والبيزنطيون ، ص ٥٣ .

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٧٦ .

وخمسمائة دابة وخمسين ومائة مطرف وسلاح كثير (١) •
وأثمرت سياسة خمارويه هذه ، وكان لهديته أعظم الأثر فى نفس يازمان ، اذ قام بالدعاء لخمارويه على منابر طرسوس معلنا الدخول فى طاعته وذلك فى جمادى الآخر ٢٧٧ هـ / سبتمبر ٨٩٠ م ، وما ان طار هذا الخبر الى الفسطاط ، حتى أرسل خمارويه الى يازمان خمسين ألف دينـــار (٢) •

وكان اعلان يازمان ولائه لخمارويه بداية للتعاون الوثيق بين الرجلين لدفع الخطر البيزنطى والدفاع عـــن حدود الشام ، ومما لا شك فيه أن هذا التفاهم الذى حدث بين خمارويه ويازمان أسفر عن مساهمة فعـــالة من جانب قوات خمـــارويه البرية والبحرية فى قتـــال البيزنطيين • ففى جمادى الآخر ٢٧٨ هـ / سبتمبر ٨٩١ م غزا أحمد العجيفى من قبل خمارويه مع يازمان الصائفة ،

---

(١) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ١٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، م٧ ، ص ٤٣٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٨٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٧٦ .

(٢) الكندى ، الولاة ، ص ٢٣٩ ، الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ١٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٤٣٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٨٤ .

فبلغا حصن سلندو أو سالندا Salanda (١) وأوشكا على فتحه ، لولا اصابة يازمان بشظية من حجـر منجنيق أصابت اضلاعه ، فجـرح ومات من تأثير جراحـه فى ١٤ رجب / ٢٣ أكتوبر من نفس العـام ، وانسحبت قواته الى طرسوس (٢) ٠

وكتب العجيفى الى خمارويه يخبره بموت يازمان ، فأقره خمارويه على ولاية طرسوس وولاه نيابة الثغر ، وأمده بالخيل والسلاح والذخائر لمواصلة الهجوم على الأراضى البيزنطية ، مستفيدا فى ذلك من الخطر الذى هدد الامبراطورية فى ذلك الحين ألا وهو خطر البلغار ، فقد ادت الخلافات التى نشبت بين البيزنطيين والبلغار بسبب نقل سوق التجارة البلغارية من القسطنطينية الى سالونيك ، وزيادة الرسوم الجمركية عليهـا مما أضر بمصالح بلغاريا التجارية ، ولما لم يكن لاحتجاج بلغاريا

---

(١) وتسميه المصادر العربية سلند ، شكند ، واسكند انظر :
ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٤٤٩ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ، ق ١ ، ص ٦٥٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٧٨ ٠

(٢) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل م ٧ ، ص ٤٤٩ ، ابن خلدون العبر ، م ٤ ، ق ١ ، ص ٦٥٧ ، Brehier, Vie et Mort, P. 149.

أى تأثير فقد غزا سيمون أراضى الامبراطورية البيزنطية فى عام ٢٨٠ — ٢٨١هـ / ٨٩٤م[1] .

انتهز أمراء الثغور الشامية فرصة انشغال الامبراطور البيزنطى ليو السادس بحروبه مع البلغار والتى استمرت عامين ، وواصلوا هجماتهم على الأراضى البيزنطية ، واشترك فى تلك الهجمات غزاة من مصر أرسلهم خمارويه مع العجيفى أمير طرسوس لغزو بلاد الروم (البيزنطيين) ومن بينهم أحمد بن أبا ، وبدر الحمامى ، وطغج بن جف . ففى عام ٢٨٠هـ / ٨٩٣م ، أرسل خمارويه أحمد بن أبا الى طرسوس فدخلها فى الخامس من رجب / سبتمبر ٨٩٣م ، ثم دخلها بعده بدر الحمامى ، فغزوا الصائفة جميعا مع العجيفى حتى بلغوا البلقسور (البوسفور) [2] وفى العام التالى ٢٨١هـ / ٨٩٤م أرسل خمارويه عامله طغج بن جف لغزو البيزنطيين فسار طغج من طرسوس على رأس جيش كبير ، وتقدم فى آسيا الصغرى حتى وصل

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر :

Theophanes, Continuatus, PP. 349-59., Lebeau, Histoire, T. 13, PP. 339-46. 349-50., Ostrogo-sky, History ofthe Byzantine, P. 227, Brehier, Vie et Mort, PP. 148-49.

(٢) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ٣٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٤٦٤ .

الى طرابيزون (١) على البحر الأسود فى جمادى الآخرة / أغسطس وهزم البيزنطيين فى عدة مواقع ، ثم عاد الى دمشق بعد بضعة شهور محملا بالغنائم (٢) .

وأمام تلك الهجمات التى شنها غزاة مصر والشام وولاة الثغور الشامية من قبل خمارويه على الأراضى البيزنطية ، ركن البيزنطيون الى المسالمة وطلبوا الهدنة فى عام ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ، وتم عقد معاهدة بين المسلمين والبيزنطيين أى بين خمارويه وليو السادس لتبادل الأسرى (٣) ، على ان خمارويه ما لبث ان توفى فى ذى الحجة من عام ٢٨٢ هـ / يناير ٨٩٦ م قبل أن يجنى ثمرة جهاده ضد البيزنطيين (٤) .

وبوفاة خمارويه بدأ الضعف يدب فى جسد الدولة الطولونية (٥) فى حين كانت الدولة البيزنطية قد استراحت

---

(١) عن طرابيزون انظر ما يلى ص ٨٤ .

(٢) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ٣٦ ، ابن الاثير ، الكامل م ٧ ، ص ٤٦٧ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٤٦ — ١٤٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٨٦ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ، ق ١ ، ص ٦٥٨ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧٠ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ١٥ — ١٦ ، وأنظر ما يلى ص

(٤) عن وفاة خمارويه أنظر ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٤٧٤ — ٤٧٥ .

(٥) عن أسباب ضعف الدولة الطولونية أنظر : حسن احمد محمود ، حضارة مصر ، ص ١٧١ — ١٧٥ ، مصر فى عصر الطولونيين ، ص ٦٩ — ٧٦ ، ٧٩ — ٨١ ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص ٤٣١ — ٤٣٢ .

من جانب البلغار وعقدت الصلح معهم فى سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥ م وامكنها بذلك نقل الكثير من قواتها البرية ضد المسلمين فى منطقة الثغور ، ونجح البيزنطيون فى شن هجماتهم على تلك المنطقة ووصلوا الى قرب طرسوس ، وعجز ولاة الثغور من قبل خلفاء خمارويه عن الحفاظ على الثغور والقيام بالجهاد ضد البيزنطيين ، لدرجة ان وفدا من أهالى الثغور ذهب الى الخليفة العباسى المعتضد فى المحرم من عام ٢٨٤ هـ / فبراير ٩٨٧ م يطلب منه ان يولى عليهم واليا من قبله ليضبط امور ثغورهم ، وان يعين من يقودهم فى حركة الجهاد ضد البيزنطيين ، وذلك لأن ولاة الطولونيين اساءوا الى الاهالى فلبى الخليفة طلبهم ، وأرسل معهم ابن الاخشاد اميرا على طرسوس (١) •

وعندما أحس هارون بن خمارويه بضياع الثغور من بين يديه ، رأى ان يقايض الخلافة العباسية ويسلمها الثغور مقابل اعترافها بحكمه فى مصر والشام ، فأرسل هارون رسوله الى الخليفة المعتضد يطلب منه ان يجدد له ولاية مصر والشام على أن يتنازل له عن حلب وقنسرين والعواصم والثغور ، ومقابل ذلك يدفع له سنويا

(١) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ٥٢ — ٥٣ ، ٦٨ ، ٧٥ — ٧٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٤٨٥ ، ابن كثير ، البداية ، جـ ١١ ، ص ٧٧ •

اربعمائة ألف وخمسين الف دينار ، فأجابه المعتضد الى ذلك ، وكتب له تقليدا بمصر والشام (١) ، ومنذ ذلك الحين أخذت الخلافة العباسية على عاتقها عبأ مواجهة البيزنطيين وصدهم عن منطقة الثغور ، بعد أن كانت قد عهدت بتلك المهمة الى أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية ثم الى خليفته وابنه خمارويه وعجز خلفاء الاخير عن القيام بها .

وما أن استقل محمد بن طغج الأخشيد (٢) بحكم مصر فى عام ٣٢٣هـ/٩٣٤م حتى دخلت الثغور الشامية وعلى رأسها طرسوس فى دائرة نفوذه ، وأصبحت تابعة له ، وقامت الثغور فى عهد الاخشيد بنفس الدور الذى قامت به فى عهد الطولونيين ، فتصدت لهجمات البيزنطيين وأغاراتهم

---

(١) الطبرى ، ١٠ ، ص ٦٩ ، ٧٠ — ٧١ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص٨٦ ، ابن كثير ، البداية ، جـ ١١ ، ص ٨٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ١١٨ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ، ق ١ ، ص ٦٦٠ ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٢٢ ، ص ٣٥٥ .

(٢) عن لقب الاخشيد انظر الهمذانى ، تكملة تاريخ الطبرى ، ص ٣٥٨ ، ابن كثير ، البداية ، جـ ١١ ، ص ٢١٥ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ٦٣٥ ، القرمانى ، اخبار الدول ، ص ٢٦٣ . وانظر ايضا سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٣٧ — ١٣٨ ، احمد السعيد ، تاريخ الدول الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

على بلاد الشام والحدود الاسلامية البيزنطية ، فيذكر ابن كثير فى حــوادث عــام ٣٣٠ هـ/٩٤١ م ان « نائب طرسوس دخل بلاد الروم ، فقتل وسبى وغنم وسلم ، وأسر من بطارقتهم المشــهورين منهم وغيرهــم خلقــا كثيرا » (١) .

وفى الوقت الذى استقل فيه الأخشيد بحكم مصر ، كان يلى عرش الامبراطورية البيزنطية الامبراطوررومانوس ليكابينوس Romanus lecapenus (٢) الذى اغتصب العرش الامبراطورى فى شوال ٣٠٦ هـ / مارس ٩١٩ م من الطفل قسطنطين السابع (٣) وكانت سياسة الامبراطور رومانوس تجاه الثغور تستهدف تهــدئة منطقــة الثغور الشامية ، لكى تستطيع الامبراطورية البيزنطية تركيز

(١) ابن كثير ، البداية ، جـ ١١ ، ص ٢٠٣ .

(٢) ترجع تسمية رومانوس بليكابينوس الى مسقط رأسه مدينة لاكاب Lakape او لاكابين Laqabin الواقعة بين ملطية وسميســاط ،وكان والــده يدعى ثيوفلاكت اباســتاكتوس Theophylact Abastactus . انظر قسطنطين السابع ، ادارة الامبراطورية ، ص ١٢ حاشية ٤ ، ص ٧١ — ٧٢ .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول اغتصاب رومانوس للعرش انظر : قسطنطين السابع ، المصدر السابق ، ص ١٣ — ١٤ .
Lebeau, Histoire de Bas-Empire, T. 13,pp. 413-39.

قواتها العسكرية فى الثغور الجـزرية (١) التى تحمـل الحمدانيون عبأ الدفاع عنها ، وأصبحوا قوة ارقت مضاجع البيزنطيين (٢) ومن أجل ذلك حرص الامبراطور رومانوس ليكابينوس على اقامة علاقات ودية مع محمد بن طغـج الاخشيد الذى تقع الثغور الشامية تحت نفوذه المباشر وذلك ليضمن حياد مصر ويتفرغ لمواجهة الحمدانيين .

والحقيقة ان الظروف الداخلية والخارجية التى تعرض لها محمد بن طغج دفعته الى أن يعيش فى سلام ومحبة ومودة مع الدولة البيزنطية ، ففى الداخل : واجه محمد ابن طغـج مقاومة عنيفة من جانب الماذرائيين (٣) الذين

---

(١) انظر ما سبق ص ١٢ حاشية ١ .

(٢) لمزيد من التفاصـيل حـول الصراع بين البيزنطيين والحمدانيين انظر :

Canard, Histoire de la dynastie des Hamdanides, PP. 579-91.

قسطنطين السابع ، ادارة الامبراطورية ، ص ٢٦ — ٣٠ ، احمد عبد الكريم ، المسلمون والبيزنطيون ، ص ١٣٥ — ١٤٧ ، درويش النخيلى ، فتح الفاطميين للشـام ، ص ٦٨ — ١٠٣ ، سامى الكيالى ، سيف الدولة ص ٨٣ — ٩٥ .

(٣) الماذرائيون اسرة من أصل فارسى ، نزحت من العراق الى مصر بصحبة أحمد بن طولون ، وتمتعوا بنفوذ كبير فى أيام الطولونيين ، ويظهر ذلك فى توليهم بعض الوظائف الرئيسية فى البلاد ، لمزيد من التفاصيل انظر : سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٣٩ — ٥٥ .

سيطروا على ادارة البلاد وجمعوا الكثير من ثرواتها ، لذلك عارضوا ظهور اية قوة فى مصر من شأنها ان تهدد كيانهم ومصالحهم . وفى الخارج كان على ابن طغج ان يواجه محمد بن رائق والى حران والرها وقنسرين واعالى الفرات ، الذى تطلع الى السيطرة على بلاد الشام . حقيقة ان النزاع بين محمد بن طغـــج وابن رائق انتهى بالصلح بينهما (١) ، ولكن سرعان ما ظهرت قوة اخرى فى بلاد الشام نازعت الاخشيد عليها الا وهى قوة الحمدانيين، الذين نجحوا فى تأسيس دولة لهم فى الموصل ، وسعوا الى بسط نفوذهم على بلاد الشام ، ولذلك دار نزاع بينهم وبين محمد بن طغج الاخشيد (٢) . هذا فضلا عن الخطر الفاطمى الذى بدأ يلوح فى الافق الغربى لمصر ويتحين

---

(١) عن تفاصيل النزاع بين الاخشيد وابن رائق انظر : الهمذانى ، تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٢٣ ، ابن الاثير ، الكامل، م ٨ ص ٣٦٣ — ٦٤، ابن العديم ، زبدة الحلب، جـ ١ ، ص ١٠٠، يحيى الانطاكى ، ص ٩٦ — ٩٧ ، ابن كثير ، البداية جـ ١١ ، ص ١٩٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ — ٥٣ .

(٢) عن حروب الاخشيد والحمدانيين انظر : ابن الاثير ، م ٨ ، ص ٤٤٥ — ٤٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١١٣ — ١١٥ ، ١١٩ ، محمد عدوان : « علاقة الدولة الحمدانية بالدول الاسلامية المجاورة » ، ماجستير غير منشور، ص ١٧٩ — ١٩٧ ، سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين، ص ٣٦٧ — ٣٧٢ .

الفرص للانقضاض عليها (١). ولكى يستطيع محمد بن طغج مواجهة هذه الاخطار ، ويتفرغ للقضاء عليها ، كان عليه ان يرتبط مع البيزنطيين بعلاقات مودة وصداقة .

سادت علاقات المودة والمحبة بين الامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس وبين محمد بن طغج الاخشيد ، ويظهر ذلك بجلاء من خلال السفارات والمراسلات المتبادلة بينهما (٢) . وبعد وفاة الاخشيد ، سار كافور على سياسته الودية نحــو الدولة البيزنطيــة فاكرم رســلها واحسن وفادتهم (٣) كما حافظ خلفاء رومانوس ليكابينوس على سياسته الودية مع مصر ويظهر ذلك مع صيغ الخطابات التى كانت ترسلها الدولة البيزنطية الى مصر (٤) .

على أنه حدث أن أخذت الدولة البيزنطية تزداد صحوة وافاقة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وخاصة فى عهد الامبراطور البيزنطى

---

(١) عن تهديد الفاطميين لمصر انظر : سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٣٧٨ وما يليها ، مصطفى طه بدر ، مصر الاسلامية ، ص ٢٠٧ — ٢١١ .

(٢) انظر ما يلى ص ٦٦ — ٧٢ .

(٣) سعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ، ص٥٤ .

(٤) انظر ما يلى ص ٧٢ .

رومانوس الثانى ، ويرجع ذلك الى التنظيمات الادارية والعسكرية التى استجدت فى تلك الفترة وخاصة الثغور التى كان لها أثر كبير فى دعم الاتجاه الحربى الجديد لمناوأة المسلمين فى منطقة الحدود (١) . وترجع صحوة الامبراطورية البيزنطية أيضا الى ظهور بعض الشخصيات العسكرية البارزة فى الامبراطورية وعلى رأسهم نقفورفوقاس (٢) الذى كان قائدا عاما للجيوش البيزنطية فى الشرق ، ونجح فى غزو بلاد الشام ، بل وفرض السيادة البيزنطية على حلب حاضرة الحمدانيين فى عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢م (٣) ، وعندما عجز سيف الدولة عن صد البيزنطيين

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر السيد الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٣٥١ — ٣٥٦ ، ٤٤٢ — ٤٤٦ .

(٢) ينحدر نقفور فوقاس من اسرة عريقة فى قبادوقيا ، وهى اسرة فوقاس Phocas ، اشتهر افراد هذه الاسرة بالبطولة والبسالة ، ومنذ عهد الامبراطور قسطنطين السابع أصبح نقفور من كبار القادة البيزنطيين ، وخاض حروبا طويلة على الجبهة الشرقية فى آسيا الصغرى واحرز انتصارات حاسمة ، لمزيد من التفاصيل أنظر : الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٤٣٤ — ٤٣٥ .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن استيلاء البيزنطيين على حلب أنظر : ابن العديم ، زبدة الحلب ج ١ ، ص ١٣٤ — ١٤١ ، سامى الكيالى ، سيف الدولة ، ص ١١١ — ١٨ ، ٢٢٢ —

استنجد بالاخشيديين ، فخرجت جيوش من دمشق وعلى رأسها ظالم بن السلال العقيلى — الذى كان حاكما عليها من قبل الاخشيديين — وسارت لمساعدة سيف الدولة الحمدانى ، ويذكر ابن العديم ان تلك المساعدة كانت سببا فى رحيل نقفور فوقاس عن حلب [١] ٠

وما لبث نقفور فوقاس أن توج امبراطورا فى العام التالى (٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م) لما قام به من جهود فى القضاء على أكبر مركز من مراكز قوة المسلمين فى الشام الا وهى حلب ، وما ان اعتلى نقفور العرش حتى واصل فتوحاته فى الشرق ، وقاد الجيوش البيزنطية لقتال المسلمين ففى عام (٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م) قسم جيشه الى قسمين ، تولى هو قسما واتجه به الى المصيصة ، فدخلها عنوة ، وتوجه القسم الآخر تحت قيادة أخيه ليو الى طرسوس وشدد

= ٢٧ ، الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٤٥٣ — ٤٦٠ ، احمد عبد الكريم ، المسلمون والبيزنطيون ، ص ١٥٥ — ١٥٨ ،
Canard, Histoire de la dynastie des Hamdanides PP. 809-815.

(١) الحقيقة ان هناك اسبابا أخرى دفعت نقفور الى الرحيل عن حلب انظر : الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٤٥٨ — ٤٦٠ ، الكيالى ، سيف الدولة ، ص ١١٨ ، أحمد عبد الكريم ، المسلمون والبيزنطيون ، ص ١٥٧ ٠

الحصار عليها ، فأرسل كافور الاخشيدى المؤن والامدادات الى طرسوس ولكن القوات البيزنطية حالت دون وصول هذه المؤن والامدادات الى اهالى طرسوس (١) •

وفى عـام (٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م) اغار نقفور على بلاد الشـام ، وخرب كثيرا من مدنه ثم تقدم عن طريق الساحل جنوبا حتى وصل الى طرابلس ، ولم يستطيع ان يستمر فى تقدمه جنوباً فى بلاد الشام ، وربما تخوف من المقاومة التى سوف يلقاها من كافور الاخشيدى ، هذا فضلا عن ان البلغار كانوا يشكلون خطرا جسيما على صدر الامبراطورية فى ذلك الوقت (٢) •

جملة القـول ان سـياسة الود التى ربطت الدولة البيزنطية بمصر فى بداية عصر الاخشيديين ما لبثت ان تبدلت فى أواخر عهدهم ، اذ سارع الاخشيديون الى نجدة اخوانهم الحمدانيين وحاولوا قدر الجهد التصدى للزحف البيزنطى على ثغور الشام ومدنه •

---

(١) محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠١ .

(٢) سعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ، ص١٥٥ .

ثانيا : الاغارات البحرية :

اهتم اباطرة الاسرة المقدونية وعلى رأسهم كل من باسل الأول المقدونى (٢٥٣ — ٢٧٣ هـ / ٨٦٧ — ٨٨٦ م) باعادة دعم الاسطول البيزنطى خاصة بعـد أن اصـابه الضعف فى القرن التاسع الميلادى ، وتعرض لكوارث بحرية عديدة من جانب الاسطول الاسلامى فى النصف الاول من هذا القرن • ويعتبر عصر باسل الاول Basil I من أزهى عصور البحرية البيزنطية ، اذ جرى فى عهده اعادة تنظيم الثغور البحرية ، وتقرر انشاء ثغر بحرى جديد وهو ثغر ساموس وحاضرته ازمير (١) • ومن أسـاطيل الثغور البحرية التى ظلت لها مكانتها فى عصر هـذا الامبراطور اسـطول ثغر كيبريوت Cibyrrheots (٢) الذى يعتبر معقل الامبراطور البيزنطى ضد هجمات المسلمين ، فكثيرا ما كان اسطول هذا الثغر يشتبك مع قوات أمير اذنه وطرسوس وغيرهما من الثغور الشامية ، يتصدى لهم (٣) • وفى عهد باسل أصبح للامبراطورية أيضا اسطول كبير مقره العاصمة

---

(١) رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، الترجمة ص ١٧٦ ، الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٣٥٧

Bréhier, Le Monde Byzantin, PP. 411-13.

(٢) يشمل ثغر كيبريوت الساحل الجنوبى من آسـيا الصغرى •

(٣) الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٣٦٢ •

البيزنطية القسطنطينية ، ويتولى قيادة هذا الاسطول أمير البحر الأعظم أو الطرنجار الكبير Grand Drungarius الذى يعتبر من كبار موظفى الدولة (١) وأصبح هذا الاسطول على أهبة الاستعداد للابحار فى أية لحظة والقيام بهجوم مضاد للاغارات الاسلامية .

اما عن ليو السادس فقد خصص فى كتابه (فنـــون الحرب Tactica) بضع فصول للحرب البحرية ، وتحدث فى هذه الفصول عن وحدات الاســـطول الامبراطورى ، وتشكيلاته وقادته وبحارته ، وأنواع سفنه ومن بينهـــا الدروموند Dromond وهى سفن تحمل ما يزيد على مائة رجل ما بين جند وبحارة ومجدفين وملاحين ، والبامفيليا Pamphylus وهى سفن سريعة تستخدم فى المطاردة والقتال ، هذا فضلا عن سفن الاستطلاع ونقل الرسائل(٢) .

وشهد عصر رومانوس ليكابينوس (٣٠٧ — ٣٣٣ هـ / ٩١٩ — ٩٤٤ م) صحوة أخرى للاسطول البيزنطى ، اذ

---

(١) رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص ١٧٦ — ١٧٨ .

(٢) فتحى عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، جـ ٢ ، ص ٣٦١ — ٦٢

Brehier, Le monde Byzantine, P. 411.

آمن هذا الامبراطور باهمية الاسطول وبدوره الهام بالنسبة للامبراطورية ، ولذلك شرع فى بناء سفن حربية أكثر ضخامة وأعظم قوة ، ونجح رومانوس بفضل هذا الأسطول فى ان يحرر منطقة بحر ايجه من هجمات المسلمين لمدة تزيد عن العشرين عاما (١) •

واهتم الطولونيون والاخشيديون كذلك بأمر الاساطيل البحرية ، فحرص أحمد بن طولون (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ/ ٨٦٨ — ٨٨٤ م) على انشاء قوة بحرية يعتمد عليها فى حماية شواطىء مصر والشام من أى هجوم بيزنطى ، ولذلك شرع ابن طولون فى الاكثار من بناء السفن والمراكب الحربية فيذكر المقريزى (٢) « انه اتخذ مائة مركب حربية

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن اناقة الاسطول البيزنطى فى عهد رومانوس انظر :

Theophanes, Continuatus, P. 405,

Monachus, Vitae Imperatorum, in C.S.H.B, PP. 897-98.

Symeon Magister, Annales, in C.S.H.B., P. 735., Vasiliev, Histoire de l'Empire Byzantine, T.I, P. 405.,

Lebeau, Histoire de Bas, T. 13, P. 437.

(٢) المقريزى ، المواعظ ، ج ٢ ، ص ١٨٠ •

سوى ما يضاف اليها من العلابيات (١) والحمـــائم (٢) والعشاريات (٣) وقوارب الخدمة » ، واهتم ابن طولون بدور صناعة السفن اهتماما كبيرا ، وخاصة دار صناعة السفن بجزيرة الروضة ، فجدد بنائها ، واهتم بتوسيعها، وانشاء المراكب الحربية فيها (٤) كما اهتم ابن طولون بالقواعد البحرية فى بلاد الشام فيذكر المقدسى ان ابن طولون قام بزيارة الساحل الشامى ، وانفق على مرمات الثغور وعلى الحصون ومن بينها حصن يافا مائتى ألف دينار ، وتفقد مدينة صور ، ورأى مناعتها وأطمأن الى حصانتها ، وكان بها سلسلة من الحديد لسد الميـــاء عند الليل ، وعندما زار ابن طولون ثغر عكا ، اراد ان يكون

---

(١) العلابيات مفردهـــا علابى وهى ضرب من ســـفن الاسطول المصرى ، وكانت من ملحقات الاسطول الطولونى ، انظر سعاد ما هر ، البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٣٥٨ .

(٢) الحمائم ومفردها حمامة وهى نـــوع من الســـفن الشراعية ذات المجاديف ، وسميت بالحمامة لصغر حجمها ، انظر سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

(٣) العشاريات مفردها عشارى وهى سفن تستخدم فى الاسطول لنقل المقاتلة والعتاد وتجرى بعشرين مجدافا ، ولمزيد من التفاصيل انظر سعاد ماهر ، المرجع الســـابق ، ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

(٤) المقريزى ، المواعظ ، ج ٢ ، ص ١٨١ ، ١٩٦ — ١٩٧ .

فى مثل مناعة صور وقوتها ، لذلك أمر باصلاح المدينة وبناء التحصينات القوية لها ، وقام بهذا العمل جد المقدسى ، وبعد أن تم تحصين عكا ، اتخـذها ابن طولون قاعـدة لاسطول الشام (١) .

وعنى خمارويه (٢٧٠ — ٢٨٢ هـ / ٨٨٤ — ٨٩٥ م) . كذلك عناية فائقة بأمر الاسطول فزاد فى عدد سفنه ، كما اهتم بايجاد قوات بحرية وسفن حربية على السواحل المصرية والشامية المطلة على البحر المتوسط ، ويظهر ذلك من خلال الدور الفعال الذى قام به الاسطول فى جهاد البيزنطيين فى عهده (٢) .

وسار الاخشيديون على نهج الطولونيين فى الاهتمام بالاسطول والعمل على تقويته وتدعيم قواعده ، والاهتمام بتأسيس دور لصناعة السفن الحربية والتجارية ، ففى شعبان من عام ٣٢٥هـ/يونيه ٩٣٧ م قام محمد بن طغج الاخشيد بنقل جزء من دار صناعة السفن من جـزيرة الروضة الى دار خديجة ابنة الفتح بن خاقان وزوجة أحمد ابن طولون ، وتقع هذه الدار بساحل الفسطاط ، واطلق

---

(١) المقدسى ، احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ص ١٦٢ — ١٦٤ .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر حسن احمد محمود ، حضارة مصر الاسلامية ، ص ١٠٦ ، السيد عبد العزيز سالم ، البحرية الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

عليها « صناعة مصر » ، وظل الاخشيد يتردد على دار الصناعة هذه فى مكانها الجديد ، ويشرف بنفسه على انشاء المراكب فيها (١) ، على أن انشاء دار صناعة بساحل الفسطاط ، لم يقض على صناعة الجزيرة ، بل غدت سفن الاسطول تصنع فى الجزيرة تارة وفى دار صناعة مصر تارة أخرى (٢) .

وفى عام (٢٥٦ هـ / ٨٧٣ م) استهل الاسطول المصرى نشاطه من قواعده بالشام لمهاجمة أساطيل البيزنطيين فى عقر دارها ، فهاجم الاسطول المصرى جزر بحر ايجه وخاصة جزيرة ايوبيا ، التى تجمعت بها الاساطيل البيزنطية ، كما هاجم مدن اليونان البحرية التى دأبت سفن البيزنطيين على الاحتماء بها اذا ما اضطرت الى الفرار (٣) ،

---

(١) عن أسباب نقل دار الصناعة انظر : ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٨ ، ١٦٠ . المقريزى ، المواعظ ، جـ ٢ ، ص ١٨١ ، ١٩٦ — ١٩٧ ، سعاد ماهر ، البحرية فى مصر ، ص ٩٤ ، محمد ياسين الحموى ، تاريخ الاسطول ، ص ١٩ — ٢٠ ، عبد المنعم عبد الحميد ، البحرية الاسلامية ، ص ١٢ .

(٢) المقريزى ، المواعظ ، جـ ٢ ص ١٩٧ ، سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيدين ص ٢٦٢ ، سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٩٤ .

(٣) العدوى ، قوات البحرية الاسلامية ، ص ١٢٢ ، الاساطيل العربية ، ص ١٠٩ — ١١٠ ، سعاد ماهر ، البحرية ، ص ٩٢ .

وربما ساعد اسطول مصر والشام فى هذا الهجوم فرقا كريتية أيضا • (١)

وتابع المسلمون اغاراتهم البحرية على الأراضى البيزنطية فيذكر المؤرخ البيزنطى ثيوفانيس Theophanes ان المسلمين فى سوريا (بلاد الشام) انتهزوا فرصة انشغال الامبراطور البيزنطى باسل الأول Basil I بشئون الامبراطورية الداخلية وحاولوا مد فتوحاتهم فى آسيا الصغرى وذلك فى عام (٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م) ، فجمعوا كل ما لديهم من سفن سواء فى مصر ام فى الشام ، وقبل ان يبحروا على رأس تلك السفن ، ارسلوا الى القسطنطينية جاسوسا ليتعرف على وضع الامبراطورية العسكرى وحالة قواتها ، وعلم الامبراطور باسل بذلك رغم انشغاله بشئون البلاد الداخلية ، كما علم باستعدادات المسلمين وتحركاتهم الاولى ، ولذلك أعد اسطولا كبيرا لمواجهتهم • ويتابع ثيوفانيس روايته فيذكر ان المسلمين ماكادوا يعلمون بهذا الخبر حتى انسحبوا الى موانيهم ، واكتفوا بالاغارة البرية على كل من قيليقية وقبادوقيا (٢) •

(١) لويس (ارشيبالد) ، القوى البحرية ، ص ٢٢٥ •

(٢) Theophanes, Continuatus, PP. 308-309.

وانظر ايضا :

Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 13, PP. 309-310 :

وقام أحمد بن طولون بعد ذلك بنقل بعض قطع الاسطول الى طرسوس ، وجعلها قاعدة بحرية تخرج منها السفن، التى تهاجم معاقل البيزنطيين فى آسـيا الصغرى (١) . والحقيقة ان طرسوس كانت قاعدة ذات أهمية كبيرة فى الصراع البحرى بين الطولونيين والبيزنطيين وذلك لقربها من شواطىء آسيا الصغرى ، مما ساعد الاسطول المصرى على الاغارة على القواعد البحرية البيزنطية ونشر الفوضى فى ارجائها ، وكان أمير طرسوس من قبل أحمد بن طولون فى ذلك الحين يدعى يازمان ، وكان يازمان كما يذكر المسعودى « فى نهاية البلاغة فى الجهاد فى البر والبحر ، وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ، ولا أشد منهم، وكان له فى العدو نكاية عظيمة » . (٢).

بدأ يازمان أمير طرسوس نشاطه البحـرى ضـد البيزنطيين فى عام ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م حينما شن اغارة بحرية على جنوب آسيا الصغرى وتوغل فى بحر ايجه ، واشترك معه فى هذه الاغارة البحرية اسطول كريت ، واذا كانت المصادر العربية تغفل هذه الاغارة البحـرية

---

(١) العدوى ، قوات البحرية ، ص ١٢٣ ، الاساطيل العربية ، ص ١١٠ ، سعاد ماهر ، البحرية فى مصر ، ص ٩٢ .

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢١٣ .

الا أن المصادر البيزنطية تذكرها بشىء من التفصيل ، فيذكر المؤرخ البيزنطى ثيوفانيس Theophanes, ان أمير طرسوس ويدعى Esmanus خرج على رأس اسطول اسلامى بلغ عدد قطعه ثلاثين سفينة كبيرة ، وشن هجوما على قلعة يوريب Euripe عند مدينة خالكيس Chalcis ، وكاديا زمان Esmanus ان يستولى عليها بعد أن حاصرها ولكن تصدى له اونياتس Oeniates قائد ثغر الهيلاد Helladis فعندما حاول الاسطول الاسلامى اقتحام قلعة يوريب ، اشتبكت معه القوات البيزنطية بقيادة اونياتس Oeniates فى معركة فاصلة ، وتمكن الجند البيزنطيون من الخروج الى الميناء واشعلوا النيران فى جزء كبير من الاسطول الاسلامى ، وعندئذ تشجع المحاصرون — كما يروى ثيوفانيس — وانقضوا على المسلمين ، وانسحبت السفن الاسلامية عائدة الى طرسوس (١) •

وقد تابع يا زمان أمير طرسوس — من قبل ابن طولون — الجهاد ضد البيزنطيين ، فاستمر يغزو الجزر اليونانية فى بحر الارخبيل ، وينقض على موانىء آسيا الصغرى ،

---

(١) Theophanes, Continuatus, PP. 298-99.
وانظر ايضا :
Lebeau, Histoire de Bas-Emprie, T. 13, PP. 313-14.

ففى عام (٢٧٥هـ / ٨٨٨م) غزا يازمان فى البحر ، وأخذ من الروم (البيزنطيين) أربعة مراكب (١) • ومما لا شك فيه أن سفن الطولونيين اشتركت مع يازمان فى الاغارة على الجزر البيزنطية القريبة من شواطىء آسيا الصغرى ، وساعد على مضاعفة الجهد فى هذا الميدان التقارب الشديد الذى بدأ يحدث بين خمارويه ويازمان (٢) •

واستمر نشاط البحرية الطولونية فى مواجهة الاسطول البيزنطى ، الذى استغل فرصة الضعف الذى بدأ يدب فى جسد الدولة الطولونية ، وبدأ يستأنف هجماته البحرية على شواطئها ، ولكن استطاع اسطول الطولونيين فى عهد هارون بن خمارويه (٢٨٣ — ٢٩٢ هـ / ٨٩٦ — ٩٠٥ م)— رغم المتاعب التى صادفها الطولونيين فى الداخل — ان يقف فى وجه تلك الهجمات وتم ذلك بفضل التعاون البحرى بين أسطول مصر والشام وطرسوس خاصة وبين أسطول كريت (٣) ، وظل هذا التعاون قائما رغم محاولات أحد

---

(١) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ١٤ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ٩٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٧٢ .

(٢) عن هذا التقارب انظر ما سبق ص ٢٩ — ٣٠ .

(٣) وقعت جزيرة كريت فى أيدى الربضيين المسلمين منذ =

امراء البحر البيزنطيين ويدعى هيمريوس Himerius قطع أسباب الاتصال بين اسطول طرسوس واسطول كريت وشل التعاون بينهما ، وكان يهدف من وراء ذلك الى السيطرة على اسطول طرسوس منفردا ، وبذلك تنكشف له سواحل الشام ، ولكن خاب ظن هيمريوس ، وظل التعاون قائما بين اسطول طرسوس واسطول كريت ، وتمكنا بفضل هذا التعاون من ان يحدا من شوكة البيزنطيين البحرية (١)۰

ويظهر التعاون البحرى بين الاساطيل الاسلامية فى مصر والشام وكريت فى أجل صوره فى ذلك الهجوم الذى شنته هذه الاساطيل على مدينة سالونيك — تلك القاعدة البيزنطية الهامة — فى عام (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) ، ففى هذا العام اجتمعت بعض القطع الحربية من اسطول مصر وأساطيل الموانى البحرية فى بلاد الشام وهى صور وصيدا

=
عام (٢١٢ هـ / ٨٢٧م) ، وظلت قاعدة هامة للعمليات الحربية الاسلامية فى بحر ايجه وشواطئه لمدة تزيد على مائة وثلاثين عاما حتى نجح القائد البيزنطى نقفور فى استردادها عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١ م ، لمزيد من التفاصيل انظر : اسمت غنيم ، الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية، ص٤٠ـ٤٦، وانظر ما يلى ص٦٢

(١) ارشيبالدلويس ، القوى البحرية ، ص ٢٢٦ ، العدوى ، قوات البحرية ، ص ١٢٤ ، والاساطيل العربية ، ص ١١١ ، عليه الجنزورى ، هجمات الروم البحرية على شواطى مصر الاسلامية ، ص ٦٦ ۰

وطرابلس وطرسوس واسندت قيادة هذا الاسطول الى ليوالطرابلسى (١) المشهور بغلام زرافه ، وخرج هـذا الاسطول من ميناء طرسوس الى كريت ، حيث انضم اليه اسطولها ، ثم اتخذ الاسطول الاسلامى طريقه الى الاراضى البيزنطية ، وقام ليوالطرابلسى بمناورة قصد بهـا خداع البيزنطيين عنـدما أعلن عزمـه على الاسـتيلاء على القسـطنطينية ، وكان يهـدف من وراء ذلك ان يقـوم البيزنطيون بسحب قطع الاسطول البيزنطى من الموانى البيزنطية للدفاع عن العاصمة ، وعندئذ يقوم بشن هجومه على مدينة سالونيك ، وعبر ليوالهلسـبونت (الدردنيل) واستولى على موانى ابيدوس Abydus وباريوس Parius

---

(١) ولدليو الطرابلسى من أبوين مسيحيين فى اقليم اضاليا Attalea فى ولاية بامفيليه على الساحل الجنوبى لآسـيا الصغرى ، وارتد فى شبابه عن المسيحية واعتنق الاسلام وقدم الى بـلاد الشـام حيث عاش فى اقليـم طرابلس ، وعـرف بليو الطرابلسى، أما المصادر العربية فتطلق عليه اسم غلام زرافة، وتذكر انه كان واليا على طرابلس وقائدا لاسطولها فى البحر المتوسط ، انظر :

Theophanes, Continuatus, P. 366., Lebeau, Histoire de Bas-Empire, T. 13, P. 362, Finlay, History of the Byzantine Empire, P. 249.

الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ١١٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم، جـ ٣ ، ص ١٣٢ ، النويرى نهاية الارب ، جـ ٢٣ ، ص ١٦ .

وهمـا من الموانى الهـامة للسـفن عنـد مضـيها الى القسطنطينية (١) •

وعنـدما علم الامبـراطور البيزنطى ليوالسـادس (٢٧٢ — ٢٩٩ ﻫ / ٨٨٦ — ٩١٢ م) بهجوم المسلمين ، كلف قائد الاسطول البيزنطى هيمريوس Himerius بالاشتباك مع ليو الطرابلسى ، وايقاف تحركاته ، فعجز عن مواجهة الاسطول الاسلامى ، واكتفى بمتابعة تحركاته حتى لحق به عند جزيرة ثاسوس Thasos فى بحر ايجه ، وهنا ادرك هيمريوس ان هدف ليو الطرابلسى هو مدينة سالونيك وليس القسطنطينية (٢) •

وعنـدئذ اسرع الامبراطور ليو السـادس بارسـال مندوبين الى سالونيك لتحذير السكان من قدوم الاسطول الاسلامى ، وتهيئة المدينة لملاقاته ، غير ان المندوبين فشلوا فى مهمتهم كما فشل الاسطول البيزنطى فى تقديم العون والمساعدة لاهل مدينة سالونيك ، وذلك لأن ليوالطرابلسى

---

(١) Theophanes, Continuatus, PP. 366-67.
Monachus, Vitae Imperatorum, P. 862.

(٢) Theophanes, Continuatus, PP. 367-68., Monachus, Vitae Imperatorum, P. 863., Brehier vie et Mort, P. 450.

كان أسرع منهم فى الوصول الى مدينة سالونيك ، ونجح فى حصارها ثم فى اقتحامها فى رمضان ٢٩١ هـ / يوليو ٩٠٤ م (١) .

وكان لبحارة الاسطول المصرى أكبر الاثر فى اقتحام معاقل سالونيك ، ذلك لأن اسوار سالونيك البحـرية كانت عالية ومزودة بكافة آلات الحرب من المجانيق القوية وغيرها من الأسلحة التى تقذف النار الاغريقية ، ولكن السفن المصرية استطاعت الاقتراب من اسوار سالونيك وهيأت لبحارتها فرصة لتسلق تلك الاسوار ، ثم الاندفاع داخل المدينة وفتح أبوابها لسفن الاسـطول الاسلامى الاخرى (٢) .

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن دخول ليوالطرابلسى سالونيك انظـر :

Cameniata, de Excidio Thessalonicens, PP. 515-543., Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 13, PP. 363-73.

وانظر أيضا اسمت غنيم ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢١ — ٢٧ ، أحمد عبد الكريم المسلمون والبيزنطيون ، ص ٦٠ — ٦٤ .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظـر :

Finlay, History of Greece, Vol. 1, PP. 273-74., History of the Byzantine Empire, PP. 254-55.

العدوى ، قوات البحرية ، ص ١٢٥ ، الاساطيل العربية ، ص ١١٢ ،

ظل بحارة الاسطول الاسلامى فى مدينة سالونيك عشرة أيام يجمعون الأسرى (١) والغنائم وبعدها قرروا العودة الى قواعدهم قبل ان يفيق البيزنطيون من أثر هـذه المفاجأة القاسية ، ويقومون بعمل عسكرى يترتب عليه حصار المسلمين فى سالونيك والقضاء عليهم ، على أن الامبراطور ليو السادس لم يحاول — خلال تلك الأيام العشرة التى قضاها الأسطول الاسلامى فى سالونيك — استرداد تلك المدينة ، بل اكتفى بارسال سفن الاسطول الامبراطورى لطاردة المسلمين فحسب عندما قرروا العودة الى قواعدهم ، ويرجع ذلك الى أن الاسطول البيزنطى درب على تجنب ملاقاة العدو ، ويتضح ذلك من خلال ما جاء فى كتاب ليو السادس Tactica بشأن الحرب البحرية ، فقد نصح ليو فى هذا الكتاب بتكتيك بحرى حذر ، فهو يرى ان من الواجب تجنب المعارك الااذا كان اسطول العدو فى مركز سيء ، ويرى كذلك أن المناوشات المنفصلة أكثر حكمة ، وينصح بتجنب السواحل

---

(١) وكان على رأس الاسرى يوحنا كمنياتى صاحب الرواية البيزنطية عن قهر سالونيك ، فقد اسر يوحنا ، ونقل الى طرسوس على سفينة مصرية ، انظر :

Cameniata, De Excidio, PP. 590, 597-98., Finlay, History of the Byzantine Empire, P. 256.

الوعرة ، والاستفادة من عوامل الجو لتحطيم اسطول العدو ، لأن هذا هو ارخص أشكال النصر وأفضلها (١) .

عاد الاسطول الاسلامى وعلى رأسه ليو الطرابلسى الى قاعدته كريت حيث مكث بها بضعة أيام ، ومن تلك القاعدة خرج الاسطول المصرى الى الاسكندرية مباشرة ، وخرج الاسطول الشامى الى قواعده فى صيدا وصور وطرسوس (٢) .

وهكذا أبرزت حملة الاسطول الاسلامى على سالونيك بقيادة ليو الطرابلسى مدى قوة الاسطول الاسلامى فى مصر والشام ، كما أظهرت التعاون بين وحدات اسطول مصر والشام وقوات كريت البحرية ، وبفضل هذا التعاون تمكن المسلمون من انزال ضربة قاسية عنيفة بالدولة البيزنطية ، بل هى من أسوأ الكوارث التى تعرضت لها

---

(١) رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص ١٨٣ ، فتحى عثمان ، الحدود ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦ — ٣٧٧ .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر :

Cameniata, De Excidio, PP. 583-98., Lebeau, Histoire de Bas-Empire, T. 13, P. 373., Brehier, Vie et Mort, P.450, Finlay, History of Greece, Vol. 2, PP. 274-77., Byzantine Empire, PP. 256-59.

الدولة البيزنطية خلال تلك الفترة وقد ترك هذا الحدث أثرا سيئا وعميقا فى نفوس البيزنطيين ، حينما أعلنه بطريرك القسطنطينية نيقولا مستيكوس Nicolas Mystiques فى كنيسة القديسة صوفيا (١) •

وكان أن استغل اعداء الامبراطورية البيزنطية الاخرين وخاصة البلغار ، تلك الكارثة التى حلت بالامبراطورية ، وحاولوا ان ينالوا منها قدر استطاعتهم ، فقد حاول سيمون ملك البلغار الاستيلاء على سالونيك عقب انسحاب المسلمين منها ، ورغم فشله فى ذلك الا أنه أرغم البيزنطيين على تعديل حدود مملكته حتى وصلت الى قرب سالونيك نفسها (٢) • ولذلك رأى الامبراطور ليو السادس ضرورة

---

(١) Brehier, Vie et Mort, P. 450.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول آثار حصار سالونيك على الدولة البيزنطية انظر :

Brehier, Vie et Mort, PP. 450-51, Les Institutions de L'Empire Byzantine, P. 306, Lebeau, Histoire de Bas-Empire, T. 13, PP. 373-74., Ostrogorsky, History of the Byzantine State, P. 229, Finlay, History of Greece, Vol. 2, PP. 280-81.

اسمت غنيم ، الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية، ص ١٣٦ — ١٣٨ ، احمد عبد الكريم ، المسلمون ، ص ٦٢ — ٦٣ •

اجراء اصلاحات عسكرية كثيرة ، وتدعيم القوات البحرية للدفاع عن الأراضى البيزنطية ضد اغارات المسلمين ، التى تميزت بطابع التنسيق بين مصر والشـــام وكريت ، فأقام ليو التحصينات والأسوار الدفاعية الحصينة حولسالونيك واضاليـــا Attaleia ، كما جهز فى مياه بحر ايجه عددا كبيرا من السفن الحربية على أهبة الاستعداد لمواجهة أى هجوم بحرى مماثل (١).

على أن نشاط الأسطول الطولونى لم يلبث أن توقف، وذلك بسبب تجدد الصراع بين الخلافة العباسيةوالطولونيين حول السيطرة على مصر ، واستغلت الخلافة فرصة الضعف الذى حل بالطولونيين فى أواخر عهدهم ، وأرسلت جيشا واسطولا الى مصر ، وتمكنت بذلك من اعادة مصر ثانية الى حظيرة الخلافة العباسية وانهت حكم الطولونيين فى مصر (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) (٢).

---

(١) Finlay, History of Greece, Vol. 2, PP. 277-78, Brehier, Vie et Mort, **P. 451, Ostrogorsky**, History of the **Byzantine State, P.** 229. الباز ، الدولة البيزنطية ، ص ٣٨٢

(٢) لمزيد من التفاصيل حول سقوط الدولة الطولونية انظر : الطبرى ، ج ١٠ ، ص ١١٨ — ١١٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٥٣٥ — ٥٣٦ ، ابن كثير ، البداية ، جـ ١١ ، ص ٩٩ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ، ص ١٢٢ ، ابن خلدون ، العبر م ٤ ، ق ١ ، ص ٦٦٢ — ٦٦٤ ، حسن أحمد محمود ، مصر فى عصر الطولونيين ص ٦٩ — ٧٦ .

وعندما استقل محمد بن طغج الاخشـيد بحكم مصر فى عام ٣٢٣هـ/٩٣٤م ارتبط مع الدولة البيزنطية بعلاقات ودية وعاش فى سلام معها (١) ، ولذلك لم نسمع عن أى هجمات أو اغارات بحرية على الشواطىء المصرية والشامية من قبل البيزنطيين فى بداية حكم الاخشيديين لمصر ، ولكن عندما احس البيزنطيون باضطراب الأحوال فى مصر تحركت اطماعهم ودفعتهم الى الاغارة على ميناء الفرما المصرى فى عام ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م ، فيذكر المقريزى « أنه فى سنة ثلاثة وأربعين وثلثمائة نزل الروم على الفرما ، فنفر الناس اليهم ، فقتلوا منهم رجلين » (٢) .

وعاود البيزنطيون الكرة ثانية ، فهاجموا الفرما مرة أخرى فى عام ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م ، فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مركبا ، وقتلوا من فيه ، وأسروا عشرة (٣) .

ونتيجة للصراع حول السلطة أخذت الدولة الاخشيدية فى الضعف والانحلال (٤) ، وأصبحت عاجزة عن أن تقدم

---

(١) انظـر ما يلى ص .

(٢) المقريزى ، المواعظ ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(٣) المقريزى ، نفسه ، صفاء حافظ ، الموانى والثغور المصرية ، ص ٧٣ .

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الصراع انظر : سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٣٤ — ١٣٥ .

أى عون بحرى لكريت عندما حاصرها البيزنطيون فى عام ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م ، وأرسل أميرها عبد العزيز بن شعيب الى مصر ليطلب المساعدة العسكرية فلم يسارع كافور باتخاذ أى خطوات ايجابية لنجدة أهالى كريت ، وازاء ثورة المصريين ضده ، اكتفى بانزال عدد من السفن الى البحر ، وتظاهر بأنه يعدها للابحار الى كريت ونجدة أهلها غير أن ذلك لم يكن الا مناورة عسكرية وسياسية قصد بها كافور تهدئه مشاعر المصريين (١) .

ونجح نقفور فوقاس Nicephore Phocas فى استرداد كريت من أيدى المسلمين فى عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١م ، وتخليص بحر ايجه من ذلك الخطر الاسلامى الذى كان خانقا له(٢) وأثر ضياع كريت على مصر ، فقد أسرع كافور الاخشيد بدعم قواته البحرية ببناء سفن جديدة ، ولكن السفن التى أسرعت مصر فى بنائها لم يثبت أنها تصلح للبحر الصلاحية الواجبة ، فعندما شدد البيزنطيون الحصار على طرسوس فى عام ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ ، أرسل كافور الاخشيد

---

(١) النعمانى ، المجالس والمسايرات ، جـ ٢ ، ورقة ٤١٦ — ٤١٧ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن فتح كريت انظر : اسمت غنيم ، الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، ص ١٧٧ — ١٩٧ ، أحمد عبد الكريم ، المسلمون والبيزنطيون ، ص ١١٩ — ١٢٨ . ارشيبالدلويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

اسطولا مصريا الى طرسوس ، يحمل المؤمن لاهلها ، ولكن القوات البيزنطية حالت دون دخول هذه المؤن الى اهالى طرسوس بعد ان تعرضت السفن المصرية لضربات السفن البيزنطية (١) •

وبدأ واضحا ان البحرية فى مصر بخاصة بعد وفاة كافور — لم تعد فى حالة تسمح لها بالدخول فى أى حرب بحرية ولو على نطاق ضيق ضد البيزنطيين ، وليس أدل على ذلك من أن البيزنطيين هاجموا دمياط فى العاشر من رجب من عام ٣٥٧ هـ / يونيه ٩٦٨ م فى بضع وعشرين مركبا ، وعلى الرغم من صغر هذا الاسطول الا أن حكام مصر من الاخشيديين عجزوا عن التصدى لهذا الاسطول الصغير ، ونجحت الحملة البيزنطية فى قتل وأسر قرابة مائة وخمسين من أهل المدينة (٢) •

---

(١) ارشيبا لدلويس ، القوى البحرية ، ص ٢٩٦ ، محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٠١ .

(٢) المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ، ص ٢١٤ ،عبدالمنعم عبد الحميد ، البحرية الاسلامية ص ١٣ ، صفاء حافظ ، الموانى والثغور المصرية ، ص ٧٣ ، نقولا يوسف ، تاريخ دمياط ، ص ١١٠ ، عليه الجنزورى ، هجمات الروم البحرية ، ص ٦٧ .

العلاقات الودية بين الدولة البيزنطية ومصر عصرى الطولونيين والاخشيديين :

لم تتسم العلاقات بين الدولة البيزنطية ومصر فى عصرى الطولونيين والاخشيديين بكونها علاقات عدائية فحسب ، بل اتسمت أيضا بكونها علاقات سلمية ودية فى بعض الأحيان ، فعندما تضع الحــرب اوزارها يجـــرى التباحث والتراسل بين اباطرة بيزنطه وامراء مصر من أجل طلب هدنة أو عقد معاهدة لتبادل الأسرى واقامة العلاقات الودية بين الطرفين •

فعقد الامبراطور البيزنطى باسل الأول المقــدونى (٢٥٣ — ٢٧٣ هـ / ٨٦٧ — ٨٨٦ م) الهدنة مع أمير مصر أحمد بن طولون ، ومهد الامبراطور لعقد هذه الهدنه باطلاق سراح عدد من اسرى المسلمين ، وعلى رأسهم عبد الله ابن رشيد بن كاوس — الذى كان عاملا على الثغور ، ووقع فى اسر البيزنطيين فى عام ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م (١) • كما ارسل الامبراطور الى أحمد بن طولون هدية عبارة عن عدة مصاحف مخطوطة ، وقد أوردت المصادر العربية (٢) ذكر الهدنة دون ان تحدد مدة لها أو تاريخا ، وقد قبل ابن

---

(١) انظر ما سبق ص ١٣ — ١٤ •

(٢) الطبرى ، الرسل ، جـ ٩ ، ص ٥٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٣٢٨ ، ابن كثير ، البداية ، جـ ١١ ، ص ٣٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٤٠ .

طولون عقد تلك الهدنة مع البيزنطيين (١).

كما طلب البيزنطيون عقد الهدنة مرة أخرى فى عام (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) وتم عقد معـــاهدة بين الامبراطور البيزنطى ليو السادس (٢٧٣ — ٢٩٩ هـ/٨٨٦ — ٩١٢ م) وبين خمارويه لتبادل الاسرى فى هذا العام (٢) . وحرص الامبــراطور ليو الســـادس كــذلك على أن يستشـــير بطـــاركة مصر والشـــام فى أخص اموره ، فعندما اراد الامبـــراطور ليو أن يتـــزوج من زوى كاربونوبســـينا Zoe Carbonopsina بعـــد وفاة زوجته ايودوكيـــا فى (٢٨٨ هـ / ٩٠١ م) ومنعه بطريرك القسطنطينية نيقولا مستيكوس (٣) من هذا الزواج (٤) لكونه الزواج الرابع ، أرسل الامبراطور الى ميخائيل بطريرك الاسكندرية وايليا

---

(١) أنظر ما سبق ص ٢١ — ٢٣ .

(٢) أنظر ما سبق ص ٣٣ وما يلى ص ٧٥ .

(٣) البطريرك نيقولا مستيكوس ايطالى المولد ، عمل كمستشـار لليو وسكرتير أول فى القصر ورسمبطريركا ومات فى مارس ٩٢٥ م ، عن عمـــر ناهز الثـــالثة والســـبعين عاما . أنظر أحمد عبد الكريم « رسالة من البطريرك نيقولامستيكوس الى الخليفة العباسى » المجلة المصرية التاريخية (١٩٨١ — ١٩٨٢ م) ٤٢ — ٤٣ .

(٤) عن هذا الزواج أنظر
Symeonis Magistr, Annales, in C.S.H.B. PP. 708-709.
عليه الجنزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية ، ص ١٩٤ .

بطريرك بيت المقدس ،والى بطريرك انطاكية يطلب منهم المجيء اليه ، والنظر فى أمر زواجه ايجوز ام لا (١) ؟ ولو لم تكن العلاقات ودية بين مصر والدولة البيزنطية لما طلب الامبراطور هذا الطلب من البطاركة التابعين لنفوذها .

ووصلت العلاقات السلمية الودية بين الدولة البيزنطية ومصر فى عصر الاخشيديين الى حد تبادل الرسائل وارسال السفارات ، فقد أرسل الامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس Romanus lecapenus سفارة الى أمير مصر محمد بن طغج الاخشيد ، وكان على رأسها رسولين وهما نقولا (٢) واسحاق ، وحملهما رسالة للاخشيد ، وقد سعت هذه السفارة لتنظيم عملية الفداء وتبادل الاسرى واقامة العلاقات الودية بين الطرفين ، وتسهيل المعاملات التجارية ، وجاء فى رسالة الامبراطور الى الاخشيد : «أنه ليس من عادة الامبراطور ان يراسل ويكاتب من دون الخليفة ، ولكنه خص الاخشيد هذه المرة بالمكاتبة والمراسلة، لما نمى الى علمه من رفيع مكانته ، وحميد سيرته ، ورغبته

---

(١) سعيد بن بطريق ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، ص ٧٣ .

(٢) ربما يقصد بنقولا هنا البطريرك نيقولا مستيكوس الذى لعب دورا دبلوماسيا كبيرا فى عهد الامبراطور رومانوس ليكابينوس فى العلاقات مع الارمن والبابوية والبلغار ، انظر ما سبق ص ٦٥ ، حاشية ٢ .

فى اقامة علاقات جوار طيبة .. » (١) كما أن رسالة الامبـــراطور رومانوس الى الأخشـــيد كانت تحمل خاتم الامبراطور شأنها فى ذلك شأن الرسائل والمكاتبات التى كانت ترسلها الدولة البيزنطية الى الخليفة العباسى (٢)، بل ويذكـــر لويس بيريـــه Louis Brehier أن الامبراطور عرض على الأخشيد أن يأتى الى القسطنطينية وأنه سوف يستقبل هناك كقائد عظيم (٣).

ورد الأخشيد على رسالة رومانوس وسفارته بخطاب طويل من انشاء الكاتب ابراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرمى (٤)، وبدأ الأخشيد خطابه بشكر الامبراطور رومانوس على مديحه له، ثم أوضح الأخشيد للامبراطور البيزنطى مدى عظم مكانته واتساع رقعة البلاد التى تدين

---

(١) ابن سعيد، المغرب، جـ ١، ص ١٦٧ — ١٦٨، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ ٧، ص ١٠ — ١١.

(٢) Canard, «Une Lettre du Muhammad Ibn Tugj al Ihsid Emir Egypte a l'empereur Romain lecapene» dans Annales de L'Institut d'Etudes Orientales (1936) T. II, P. 191.

(٣) Brehier, Les Institutions de L'Empire Byzantin, P. 293.

(٤) انظر نص الخطاب فى : — ابن سعيد، المغرب، ص ١٦٧ — ١٧٢، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٧، ص ١٠ — ١٨.

له بالطاعة والولاء ، فهى تشــمل مصر والشــام واليمن وفلسطين ، يضاف الى ذلك تقلده أمر مكة والمدينة ، هذا فضلاً عن أنه يقع تحت سلطانه ثلاثة من كبار الكنائس وهى كنيســة بيت المقدس ، وكنيســة انطــاكية ، وكنيســة الاسكندرية (١) • ولذلك لم ير الأخشيد بأسا من أن يكاتبه الامبراطور رومانوس ، خاصة وقد سبق ان كاتب اباطرة بيزنطة امراء مصر ومنهم أحمد بن طولون وابنه خمارويه ثم أبو منصور تكن ، فقد جاء فى خطاب الأخشيد : « انك لو رجعت الى ديوان بلدك ، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلك من لم يحل محلنا ولا اغنى غنانا ولاساس الامور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين ••• ما قلدنا ••• وقد كوتب أبو الجيش خمارويه (٢) بن أحمد بن طولون ، وآخر من كوتب أبو منصور تكين (٣) مولى أمير المؤمنين ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها » (٤) •

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٨ — ١٦٩ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ١٣ — ١٤ .

(٢) كاتب الامبراطور البيزنطى ليو السادس خمارويه فى عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م ، لتنظيم الفداء فى هذا العام وتبادل الاسرى ، أنظر ما سبق ص ٦٥ وما يلى ص .

(٣) عن تقلد أبو منصور تكين ولاية مصر أنظر الكندى، الولاة ، ص ٢٣٣ وما يليها .

(٤) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٠ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ١٥ — ١٦ .

أما فيما يتعلق بما طلبه الامبراطور رومانوس من تنظيم الفداء وتبادل الأسرى ، فقد رحب الأخشيد بذلك ، وبدأ يتخذ خطوات ايجابية فى هذا السبيل اذ جاء فى رده على الامبراطور رومانوس بهذا الشأن : «وبعثنا الكتب والرسائل الى عمالنا فى سائر أعمالنا ، وعزمنا عليهم فى جمع كل من قبلهم واتباعهم بما وفر الايمان بانفاذهم ، وبذلنا فى ذلك كل ممكن » (١) . كذلك يشكر الأخشيد الامبراطور رومانوس لعنايته بأمر الأسرى المسلمين وما يلقونه فى بلاده من معاملة حسنة . كذلك ابدى الأخشيد استعداده لعقد الصداقة مع الامبراطور البيزنطى رومانوس ووافق على طلب الامبراطور بأن تسود المودة والمحبة جو العلاقات بين الدولة البيزنطية ومصر ، وقد ظهر ذلك بجلاء من خلال احسان الأخشيد الى رسل الامبراطور ، وحسن استقبالهم ، والاستماع منهم والاصغاء اليهم ، فقد جاء فى خطاب الأخشيد : « رأينا من تحقيق جميل ظنك بنا ، ايناس رسلك وبسطهم والاستماع منهم والاصغاء اليهم والاقبال عليهم » . (٢) .

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٢ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ١٧ .
(٢) ابن سعيد ، نفس المصدر والصفحة ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ١٨ .

أما فيما يتعلق بالمعاملات التجارية فقد سمح الأخشيد للبيزنطيين أن يبيعوا ما لديهم من سلع ويشتروا ما هم فى حاجة اليه (١) وبذلك قدم اليهم التسهيلات التجــارية المرغوبة فى البيع والشراء .

وهكذا يظهر لنا خطــاب الأخشيد الى الامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس الرغبة الأكيدة من جانب الطرفين فى احلال السلام بينهما واقامة العلاقات الودية بين مصر والدولة البيزنطية .

واســتمرت العــلاقات الوديــة تربط مصر بالــدولة البيزنطيــة واســتمر تبادل الســفارات بينهمــا ففى عام (٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م) أرسل الامبراطور رومانوس رسولا الى محمد بن طغج الأخشيد بهدايا ثمينة ، ويصف لنا صاحب كتاب العيون ، مراســيم اســتقبال الســفير البيزنطى فى بلاط الأخشيد ، والاحتفال الذى أعد للقائه والاحتفاء به ، فيذكر أن « رسول ملك الروم قدم بهدايا نفيسة على محمد بن طغج فجلس له جلوسا لم ير مثله وأقام الجيش بالسلاح وزين الدهاليز والدار وجلس فى

(١) ابن سعيد ، ، المغرب ، ص ١٧٢ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ١٨ .

الدار الداخلية ، على سرير مرتفع على دست ديباج ، ولم يجلس بين يديه أحد من كاتب ولاغيره • ووصل الرسول فنزل له ، وقبل كتابه ، وأخرجه فخلع عليه ثيابا من كل صنف وانصرف الى داره » • (١) •

كذلك يذكر سعيد بن بطريق فى حوادث عام ٣٢٦ هـ/ ٩٣٧ م ان ثاوفيلكس (ثيوفلاكت Theophylucte) بطريرك القسطنطينية ، أرسل رسولا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية وبيت المقدس يسألهم ذكر اسمه فى صلواتهم وقداساتهم ، فأجابوه الى ذلك (٢) • والحقيقة أنه لولا العلاقات الودية التى ربطت مصر بالدولة البيزنطية فى ذلك الحين لما أجيب طلب بطريرك القسطنطينية •

وتظهر العلاقات الودية التى كانت تربط مصر بالدولة البيزنطية فى ذلك الحين فى أن الأخشيد فكر فى الذهاب

---

(١) كتاب العيون والحدائق ، جـ ٤ ، ص ٣١٩ •
وانظر ايضا •
Vasiliev, Byzance et le Arabes, T. II, deuxieme Partie, P. 223.

(٢) سعيد بن بطريق ، التاريخ المجموع ، ص ٨٨ ، يحيى بن سعيد ، تاريخه ، ص ٩٣ •

الى بيزنطة عندما هزم جيشه فى الجولة الأولى مع ابن رائق عند العريش فى عام ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م ، فيذكر ابن سعيد « ان الأخشيد قد عبأ مراكب فى البحر ليلحق ببلاد الروم أو بالمغرب » [١] .

وعمل خلفـــاء الامبراطور رومانوس ليكابينوس على استمرار العـــلاقات الودية التى تربط الدولة البيـــزنطية بمصر ، ففى عام ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م أرســـل الامبراطور قسطنطين السابع بورفيرجينيتوس وابنه رومانوس الثانى خطابا الى أمير مصر ، يحمل خاتم الامبراطور قسطنطين المصنوع من الذهب . وكتبت فاتحة هذا الخطاب بطريقة ودية اذ جاء فيها : « من الامبراطور قسطنطين وابنـــه روما نوس الاتقياء فى المسيح ، اعظم أباطرة الرومان ... الى صديقنا المحبوب أمير مصر النبيل » [٢]هذاوتشير أعمال الامبراطور قسطنطين السابع الى المكانه الهـــامة التى بدأت تحتلها مصر فى عصر الاخشيديين فى البروتوكول البيزنطى ، فقد حدث فى ذلك الوقت أن بدأت الخلافة العباسية تضعف ، وبدأ أباطرة بيزنطة يراسلون امراء مصر ، ويقيمون علاقات ودية معهم [٣].

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

(٢) Canard, une lettre de Muhammed, P. 191.

(٣) Canard, Une lettre, P. 190.

واستمر كافور الأخشيد على سياسة الأخشيد الودية مع الدولة البيزنطية فأكرم رسلها وأحسن وفادتهم ، ويبدو أن تباطىء كافور فى اتخاذ خطوات عملية لنجدة أهل كريت عندما حاصرهـا البيزنطيون فى عام ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م ، وطلب أميرها عبد العزيز بن شعيب المساعدة منه ، ينبع من تلك العلاقات الودية التى ربطت مصر بالدولة البيزنطية فى ذلك الحين (١) .

على أن الدولة البيزنطية لم تلبث ان قلبت لمصر ظهر المجن بعد وفاة كافور الأخشيدى وخاصة حينما بـدأ الضعف يتسرب الى الأخشيديين ، وبدأت بيزنطـة تشن هجماتها واغارتها على مصر والشام (٢) .

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر ما سبق ص ٦١ - ٦٢ .
(٢) أنظر ما سبق ص ٦٣ .

الفداء وتبادل الأسرى :

ترتب على الاغارات البرية والبحرية على الأراضى البيزنطية والاسلامية وقوع عدد كبير من رعايا الطرفين وجنودهم المتحاربين فى الأسر ، لذلك كان من الضرورى وضع نظام خاص لتبادل الأسرى واطلاق سراحهم ، وهو ما عرف بالفداء .

وكانت تسبق عملية تبادل الأسرى (الفداء) سفارات ومفاوضات لتقرير اسس الفداء ، ويتضح من هذه المفاوضات ان عملية الفداء وتبادل الأسرى كانت تجرى وفقا لقواعد مرسومة ونظم خاصة ، فاذا ما نجحت المفاوضات استعد الطرفان لاجراء الفداء (١) .

أما عن طريقة المفاداة ، فكانت تتم بأن يعقد المسلمون جسرا على النهر (٢) ، ويعقد الروم جسرا آخر ، فيرسل المسلمون الرومى على الجسر ، ويرسل الروم

---

(١) Brehier, Les Institutions de l'Empire Byzantin, P. 320.

فتحى عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، جـ ٢ ، ص ٤١٦ .

(٢) عادة ما كان يجرى الفداء عند نهر اللامس Lamos فى مقاطعة سلوقية على مقربة من طرسوس .

المسلم على جسرهم وكان يشرف على عملية الفداء من الجانب البيزنطى اثنان من البطارقة (١).

ومن أشهر الأفدية التى تمت بين الدولة البيزنطية والطولونيين فداء عام ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ووقعت الهدنة لهذا الفداء فى عام ٢٨٢ هـ / ٨٩٥م بين الامبراطور البيزنطى ليو السادس (٢٧٢ — ٢٢٩ هـ / ٨٨٦ — ٩١٢ م) وبين خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٧٠ — ٢٨٢ هـ/٨٨٤ — ٨٩٥ م) (٢) ، وعندما قتل خمارويه بدمشق فى ذى القعدة من عام ٢٨٢هـ/ديسمبر ٨٩٥م تم الفداء فى العام التالى (٢٨٣هـ/٨٩٦م) فى عهد ابنه أبو العساكر جيش (٣) وكان رسول المسلمين المتوجه الى البيزنطيين فى هذا الفداء هو يحيى بن عبد الباقى ، اما رسول البيزنطيين فكان يدعى سيميون ، اما القائم بهذا الفداء فكان أحمد ابن طغان أمير الثغور الشامية من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون (٤).

واختلفت الاراء حول عدد من فودى من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان فى هذا الفداء ، فيرى البعض أن

(١) زكى المحاسنى ، شعر الحرب ، ص ١٧٧ .
Brehier, Les Institutions, P. 320.

(٢) أنظر ما سبق ، ص ٣٣ ، ٦٥ .

(٣) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ١٦٣ ، الطبرى ، ج ١٠ ، ص ٥١ ، ابن الاثير ، الكامل ، م ٧ ، ص ٢٨٤ ، المقريزى ، المواعظ ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٤) الطبرى ، ج ١٠ ، ص ٤٦ .

عددهم بلغ الفين وخمسمائة وأربعة أنفس [١] فى حين يرى البعض الآخر ان عدد من فودى من الأسرى المسلمين بلغ خلال الأيام العشرة للفداء الفين وأربعمائة وخمسة وتسعين [٢] .

ومن الأفدية التى وقعت بين الدولة البيزنطية والأخشيديين فداء عام ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م وقد سبق هذا الفداء سفارة أرسلها الامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس (٢٠٦ — ٣٣٣ هـ / ٩١٩ — ٩٤٤ م) الى محمد ابن طغج الاخشيد فى عام ٣٢٥هـ/٩٣٦ م ، وكانت هذه السفارة تحمل خطابا من الامبراطور للاخشيد ، وتعبر فقرات هذا الخطاب عن رغبة البيزنطيين فى الصداقة والمودة مع الاخشيديين وفى تبادل الاسرى واجراء الفداء [٣] .
وكان ان جهز الاخشيد المراكب الحربية بالفعل للمسير الى الثغور للفداء ، وشحنها بنصارى الروم ممن أهدى اليه ، ومن اشتراه ، وانفذ الثياب والطيب والطعام لمن يحصل فى الفداء من المسلمين . [٤] .

---

(١) الطبرى ، جـ ١٠ ، ص ٤٦ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٦٢ .
(٢) المسعودى ، التنبيه ، ص ١٦٣ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ٢ ، ص ١٩٢ .
(٣) أنظر ما سبق ص ٦٩ ، وابن سعيد ، المغرب ، ص١٦٧ ، والقلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ١١ .
(٤) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٣ .

وتم الفداء فى عام ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ، وكان القائم به ابن ورقاء الشيبانى من قبل الوزير جعفر بن الفرات المشرف على شئون مصر المالية فى ذلك الوقت ، وبشير الثملى أمير الثغور الشامية ، وبلغ من فودى فيه من أسرى المسلمين خلال ستة عشر يوما ستة آلاف وثلاثمائة ونيفا من ذكر وانثى ، وبقى عدد آخر من الاسرى المسلمين فى ايدى البيزنطيين يربو على ثمانمائة رجل ، لذلك زيدت الهدنة بعد انقضاء الفداء لمدة ستة أشهر تم خلالها جمع الاسرى الروم ومبادلتهم بالاسرى المسلمين (١).

كذلك اتفق الأخشيد مع البيزنطيين على القيام بفداء آخر للاسرى ، وبدأ التفكير فى هذا الفداء عندما أرسل الامبراطور رومانوس رسولا الى الاخشيد يحمل اليه اناء من الذهب كهدية وكتابا يتودد اليه فيه ، ويطلب منه تبادل الاسرى وتنظيم الفداء ، فتقبل الاخشيد ما عرض عليه من فداء الاسرى ومبادلتهم . وبدأ تنظيم هذا الفداء بالفعل فى أيام الاخشيد اذ قدم اليه وهو فى دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ / يوليه ٩٤٦ م أبو عمير عدى بن أحمد

---

(١) المسعودى ، التنبيه ، ص ١٦٤ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ٢ ، ص ١٩٢ ،

Brehier, Les Institutions, P. 320.

ابن عبد الباقى (١) شـيخ ثغر اللامس ومعـه يوانس الانسيبطوس البطريقوس المسدقوس المترهب رسـول الامبراطور البيزنطى لاتمام هذا الفداء ، على ان الاخشيد ما لبث ان توفى فى ٨ ذى الحجة عام ٣٣٤ هـ/يوليه ٩٤٦ م قبل اتمام الفداء ، فدفع كافور مبلغ ثلاثين ألف دينار الى أبى عمير ورسول الامبراطور البيزنطى ، فتوجها معا الى طرسوس حيث وجدا هناك بشير الثملى والى الثغور ، يدعو لسيف الدولة الحمدانى ، فأتم الاخير الفداء فى عام ٣٣٥هـ/٩٤٧ م ونسب اليه (٢).

العلاقات التجارية بين الدولة البيزنطية ومصر عصرى الطولونيين والاخشيديين :

لم تمنع الاغارات البرية والبحرية بين الدولة البيزنطية ومصر فى عصرى الطولونيين والاخشيديين من اسـتمرار النشاط التجارى بين الطرفين ، فالموقع الجغرافى لكل من

---

(١) كان أبو عمير من شيوخ الثغور ، وقد سبق ان اوفد فى سفارة الى القسطنطينية كما رافق السفراء البيزنطيين الذين قدموا الى بلاط الخليفة العباسى المقتدر فى عام ٣٠٥هـ/٩١٧م، انظر سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٣٧٣ .

(٢) المسعودى ، التنبيه ، ص ١٦٥ ، المقريزى ، المواعظ، جـ ٢ ، ص ١٩٢ .

بيزنطه ومصر ، ووقوعهما على طــرق القوافل التجــارية القادمة من أوروبا والشرق الأقصى سهل كثيرا عملية التبادل التجارى بينهما .

وساعد على تنشيط حركة التجــارة وعملية التبــادل التجارى بين الدولة البيزنطيــة ومصر الى جانب الموقع الجغرافى عوامل اخرى من بينها أولا الرخاء الاقتصادى الذى نعمت به كل من بيزنطه ومصر فى القرنين الثــالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين فتمتعت القسطنطينية خلال تلك الفترة بثراء ورخاء عميم يشهد على ذلك امتلاء خزائنها بالذهب ، وتلك الارباح الوفيرة التى ظفر بها أصحاب الأعمال المصرفية من النشاط المالى الذى خلفه الرخاء الذى عم العاصمة (١) .

وكان هذا الثراء يتعادل مع ما تمتعت به مصر والشام من رخاء وثراء فى ذلك الحين ، فقد تمتعت مصر خلال عصر الطولونيين بدرجة عالية من الثراء والرخاء الاقتصادى على حد سواء ، ومن مظاهر ذلك الرخاء تلك الثروة الطائلة التى خلفها أحمد بن طولون بعد وفاته ، وقصر خمارويه الفخم

---

(١) أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٨ .

الذى أقام به اشجارا صناعية من الذهب والفضة ، وبحيرته المملؤة بالزئبق ، كذلك الجهاز الفخم ، الذى جهز به خمارويه ابنته قطر الندى عند زواجها من الخليفة المعتضد ولم يقتصر ثراء مصر ورخائها على الامراء بل عاش الشعب أيضا فى رخاء (١)٠ ومن مظاهر رخاء مصر كذلك فى عصر الطولونيين ارتفاع خراج مصر فى عهدهم اذ بلغ فى عهد أحمد بن طولون ٤٫٣٠٠٫٠٠٠ دينار (٢)٠

وبلغت مصر فى عصر الاخشيديين كذلك درجات أعظم من الرخاء ، ويرجع ذلك فى المقام الاول الى أن تجارة الشرق

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ٧٣ ، ابنتغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٥٣ — ٦٢ ، القرمانى ، أخبار الدول ، ص ٢٦٢ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ، ص ٣١٦ — ٣١٩ ، حسن احمد محمود ، حضارة مصر الاسلامية ، ص ١٣٠ ، ١٣٢ — ١٣٤ ،

Lane-Poole, A History of Egypt, P. 65.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن خراج مصر فى عصر الطولونيين انظر :

ابن سعيد ، المغرب ، ص ٣٦ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ٧٣ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ، ص ٩٩ ، حسن احمد محمود ، حضارة مصر الاسلامية ، ص٢٣٢ ، سيدة الكاشف ، أحمد بن طولون ، ص ١٩٩ ،

Lane-Poole, A History of Egypt P. 65.

بدأت تتحول عن طريق الخليج العربى (الفارسى) والعراق الى طريق مصر والبحر الاحمر ، ونتيجة لهذا التحول ، اخذت بغـداد تتدهور اقتصاديا فى حين اتسع سـلطان الاخشيد ، اذ لم يقتصر سلطانه على مصر والشام فحسب بل شمل الحجاز بما فيه مكة والمدينة (١) • ومما لا شك فيه ان هذا الثراء والرخاء الاقتصادى الذى شهدته مصر فى عصرى الطولونيين والاخشيديين كان له أكبر الاثر فى تشجيع التجار القادمين اليها على تصريف سلعهم وباسعار مرتفعة (٢)•

ثانيا : توفير الامن والحماية للتجار القـادمين الى بيزنطة ومصر ، وللتجارة العابرة باراضيهما ، وترتب على ذلك ازدهار حركة التجارة ، واقبال التجار من كافة ارجاء العالم الى أسواق بيزنطة ومصر ، وارتفاع حصيلة الضرائب والمكوس الجمركية وتدفق الأموال بالتالى على خزائن بيزنطة ومصر • فقد أقبل التجار الروس والبلغار والعرب على أسواق التجارة البيزنطية سواء على البحر الاسود ام فى

---

(١) انظر ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ص ١٦٨ — ١٦٩ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٧ ، ص ١٣ — ١٤ .

(٢) ارشيبالدلويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٥٧ .

القسطنطينية حاملين بضائعهم ، كذلك ازدحمت أسواق مصر بكثير من تجار القسطنطينية والمغرب وليس أدل على ذلك من وجود حى للتجار الروم (البيزنطيين) فى مدينة القطائع التى بناها أحمد بن طولون (١) ، وان لم يمكن الجزم بكونهم أجانب ام وطنيين ، هذا ويذكر المسعودى — الذى زار مصر فى القرن العاشر (عصر الاخشيديين) أنه التقى بعدد من تجار القسطنطينية فى مدينة الفسطاط ، وتعرف منهم على أخبار اباطرة القسطنطينية فى ذلك الحين . (٢).

ثالثا : فيما يتعلق بالعملة ، حافظت القسطنطينية فى القرن الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين على عملتها الذهبية ، فقد ظلت هذه العملة حافظة لنقاوتها شائعة التداول ، فقد استخدم الدينار الذهبى البيزنطى شرقا وغربا فى اواخر القرن التاسع واوائل القرن العاشر الميلاديين ، فى حين اختفى الدرهم الفضى من العراق وايران ومن المحيط الهندى ، حقيقة ان استخدام الفضة ظل باقيا ،

---

(١) المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ص ٣١٣ ، ٣١٥ ، ابن دقماق ، الانتصار ، ص ١٢١ .

(٢) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ١٤٨ .

ولكن اقتصر على الاستخدام المحلى الثانوى (١) •

وشــهدت العملــة فى مصر فى عصرى الطــولونيين والاخشيديين تطورا كبيرا ، فقد سك أحمد بن طولون دينارا جديدا (٢) ، وهو « الدينار الاحمدى » الذى ينسب اليه ، ويعد هذا الدينار من أحسن الدنانير الاسلامية وأثقلها وزنا، اذ كان مساويا فى قيمته ودرجة نقاوته للدينار العباسى ، فكانت نسبة الذهب الخالص فيه تتراوح بين ٩٦٪ ، ١٠٠٪، وظل دينار مصر هــذا محتفظا بنقــاوته هــذه فى عصر الاخشيديين كذلك • وهكذا دعم اصلاح العملة مكانة مصر، ومركزها التجارى والاقتصادى فى الاسواق العالمية ، اذ أقبل التجار على عملتها اقبالا شديدا فى أسواق الشرق(٣)•

رابعا : من عوامل تنشيط حركة التجــارة والتبــادل التجارى بين بيزنطه ومصر أيضا توافر مراكز التجــارة

---

(١) Brehier, La civilisation Byzantine, P. 200.
ارشيبالدلويس ، القوى البحرية ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ ، ٢٦٤ •

(٢) عن الأسباب التى دفعت ابن طولون لسك هــذا الدينار • أنظر : انستاس الكرملى ، النقود العربية ، ص ٦١ — ٦٤ •

(٣) حسن احمد محمود ، حضارة مصر ، ص ٥٢ ، سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الطولونيين ، ص ٣٠ — ٣٣ ، مصر فى عصر الاخشــيديين ، ص ٢٠٥ ، عطيــه القوصى ، تجارة مصر ، ص ٧١ ، ٧٩ •

وحلقات الاتصال التى ربطت بينهما ، فكانت مدينةطرابيزون التى تقع على البحر الاسود — من أهم مراكز التبادل التجارى بين الدولة البيزنطية ومصر والشام ، اذ كانت السوق الرئيسية التى يتم فيها المبادلات التجارية ، ويعود منها التجار محملين بالمتاجر البيزنطية ، فيذكر الاصطخرى: « اطربزندة مدينة يجتمع فيها التجار من بلد الاسلام ، فيدخلون منها الى بلد الروم للتجارة ويخرجون ..»(١).

وكانت حركة التجارة بهذه المدينة قائمة على قدم وساق، فعن طريق طرابيزون كانت البضائع المصرية والشامية تصل الى القسطنطينية اما عن طريق البحر المتوسط أو البحر الاسود واما عن طريق البر عبر آسيا الصغرى . وكانت ترد الى طرابيزون من القسطنطينية المنسوجات الصوفية والكتانية ، فضلا عن الديباج البيزنطى الذى اشتهر بجودته وتفوقه عن غيره من المنسوجات (٢) ، « فاكثر ما يخرج الى الاسلام وبلده من الديباج والبزيون وثياب الكتان الرومى ،

---

(١) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ١٨٨ .

(٢) هايد ، تاريخ التجارة ، الترجمة العربية ص ٦١ ؛
Lopez, «Silk industry in the Byzantine Empire», in Speculum (1945) PP. 29-30, Note 3.
العدوى ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ١٢٦ .

وثياب الصوف ، والاكسية الرومية من اطرابزنده » [١]٠

اما عن مراكز مصر التجارية وحلقات الاتصال بينها وبين بيزنطة فيذكر المسعودى : « ان بلاد الاسكندرية ورشيد وتنيس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا الى بلاد رومية »[٢]٠

وعلى هذا فان الاسكندرية وتنيس ودمياط والفرما ومدن الشام الساحلية وثغوره كانت من أهم مراكز الاتصال التجارى بين مصر والدولة البيزنطية ٠ اما عن الاسكندرية فقد انعكس الرخاء الذى شهدته مصر فى عصر الطولونيين والاخشيديين على تلك المدينة ، فشهدت فترة من الازدهار فى هذا العصر ، وأصبحت الاسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران الاسعار للعالم فى ذلك الوقت [٣] ٠ فكانت الاسكندرية سوقا يحصل منه البيزنطيون على السلع الشرقية كالتوابل والفلفل والقرفة والزنجبيل وغيرها ، كما

---

(١) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ١٨٨ ٠

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٢٢ ٠

(٣) ادم متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ص ٢٧٢ ، صفاء حافظ ، الموانىء والثغور المصرية ، ص ١٨٥ ، هايد ، تاريخ التجارة ، ص ٥٨ ، حسن محمود ، مصر الاسلامية ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ ٠

يحصلون منها على المنسوجات الكتانية الراقية التى اشتهرت بها مصر فى ذلك الحين ، والى جانب ذلك كانت الاسكندرية سوقا لتصدير الشب الذى كان يقبل عليه التجار البيزنطيون لحاجتهم اليه (١).

أما عن تنيس (٢) ودمياط (٣) فقد سهل موقعهما على الركن الشمالى الشرقى لساحل مصر الشمالى الاتصال بين مصر والدولة البيزنطية ، وأمكن عن طريقهما تصدير المنسوجات الكتانية الفاخرة الى الدولة البيزنطية ، تلك المنسوجات التى ذاعت شهرتها وتهافت عليها اباطرة بيزنطة (٤). وعن حركة التجارة النشطة التى شهدتها مدينة تنيس فى القرن العاشر يذكر ابن حوقل : « وفيها تلتقى السفينتان تحط احداهما الاخرى ، هذه مصعده

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : صفاء حافظ ، الموانى والثغور المصرية ، ص ١٨٤ — ١٨٧ .

(٢) عن تنيس انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٥١ — ٥٤ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ، ص١٧٦ — ١٨١ .

(٣) عن دمياط انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٤٧٢ — ٤٧٥ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ، ص٢١٣

(٤) انظر ما يلى ص ٩٣ .

وهذه نازلة بريح واحدة مملأة شرعها بالريح ومتساوية فى سرعة السير » (١).

وارتبطت موانى مصر هذه بطرق بحرية مع الدولة البيزنطية ، ساعدت على تنشيط حركة التجارة معها ، ومن بين هذه الطرق ، الطريق البحرى الذى يصل بين غرب أوروبا والشرق مارا بالقسطنطينية وبمصر عن طريق ميناء الفرما ، وكان هذا الطريق مسلكا لتجار اليهود الرازانية(٢)، الذين يأتون من مقـــاطعة بروفانس بفرنســـا ، وينقلون بضائع الغرب الى الشرق وحاصلات الشرق لمجتمع الغرب، وعند عودتهم من الغرب كانوا ينزلون بالفرما ، ثم ينتقلون بالسفن الى القسطنطينية أو الى أسواق غرب أوروبا (٣).

---

(١) ابن حوقل ، مسالك الممالك ، ص ١٠٣ ، وانظر ايضا ابن دقماق ، الانتصار ، ص ٧٩ .

(٢) عرف هؤلاء التجار اليهود فى غرب أوروبا باسم Radanites نسبة الى نهر الرون وهو روادنوس فى اللاتينية لأن مراكزهم كانت فى بلاد حوض هذا النهر ، وكان هؤلاء التجار يتكلمون العربية والفارســـية والروســـية والافرنجية والاندلسية الصقلبية . انظر : ابن خرداذبه ، المسالك ، ص ١٥٣ ، فتحى عثمان ، الحدود ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .

(٣) ابن خرداذبه ، المسالك ، ص ١٥٣ — ١٥٤ ، حسن محمود ، مصر الاسلامية ، ص ٢٤٤ ، فتحى عثمان ، الحدود، ج ٣ ص ٢٢٧ ، صفاء حافظ ، الموانىء ، ص ١٧٧ — ١٧٨ .

ولم تقتصر حركة التجارة مع الدولة البيزنطية على الموانىء المصرية فحسب ، بل شاركت مدن الشام وثغورها فى ذلك أيضا ، كما لعب تجار الشام دورا متميزا فى تنشيط حركة التجارة مع الدولة البيزنطية . فقد تمتعت بلاد الشام بنفس الرخاء والثراء الذى تمتعت به مصر ، وانتعشت طرابلس وبيروت وصور وسائر الموانى الساحلية الاخرى(١). وكانت قوافل الشام تحمل السلع وتجتاز آسيا الصغرى بينما حملت السفن منتجات بلاد الشام من سلوقية الى أسواق القسطنطينية (٢) . كما كانت ثغور الشام وعلى رأسها طرسوس مركزا تجاريا هاما اذ ساعدت على تأمين الطرق التجارية ورواج التجارة (٣) . وكان للرباطات البحرية أيضا دور فى التبادل التجارى فيذكر المقدسى : وفى كل رباط « قوم يعرفون لسانهم — الروم — ويذهبون اليهم فى الرسالات ويحمل اليهم اصناف الاطعمة ، وقد ضج بالنفير لما ترابت مراكبهم ، فرجل يشترى رجلا ،

---

(١) ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٥٨ .

(٢) الباز ، الحضارة والنظم ، ص ٩٩ ، ١٠٤ ، هايد ، تاريخ التجارة ، ص ٦٠ — ٦١ ، ٧٠ .

(٣) فتحن عثمان ، الحدود ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ .

وآخر يطرح درهما ، أو خاتما حتى يشترى ما معهم »[١]٠

وحاول بعض اباطرة الدولة البيزنطية فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى اجتذاب التجار المسلمين فى البحر المتوسط الى القسطنطينية وذلك عن طريق تخفيض الرقابة المفروضة على البضائع الاسلامية ، واقامة وكالات للمسلمين — وبصفة خاصة السوريين — بالقسطنطينية ، ويظهر ذلك بجلاء فيما جاء فى كتاب والى المدينة — الذى ألف فى القرن العاشر — من أن وكالتين اقيمتا بالقسطنطينية للتجار السوريين ، أحدهما لتجار الحرير الفاخر والاخرى لتجار التوابل والعطور [٢]٠

والى جانب ذلك عومل التجار المسلمين الذين وفدوا الى القسطنطينية ومعهم كميات من المنسوجات الحريرية والكتانية — أثناء وجودهم بالقسطنطينية — معاملة حسنة، ولقى تجار الشام ترحيبا خاصا لأنهم كانوا يحضرون الى القسطنطينية بالمنسوجات الحريرية وبالعطور والتوابل ،

---

(١) المقدسى ، احسن التقاسيم ، ص ١٧٧ ، وانظر ايضا ، فتحى عثمان ، الحدود ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

(٢) كتاب والى المدينة ، نشره الباز العرينى فى مجلة كلية الآداب م ١٩ (مايو ١٩٥٧ م) ص ١٥٦ — ١٥٧ ، ١٦٤ .

ويتحدث كتــاب والى المدينــة كذلك عن تجــار الشــام هؤلاء ، وعن النظــام الذى خضــعوا له أثناء وجودهم بالقسطنطينيــة ، فكانوا لا يدخلون العاصــمة الا بعــد الحصول على اذن بالدخول ، وتجرى حراستهم عند دخول القسطنطينية ، وتحدد فترة اقامتهم فى خانات القسطنطينية بثلاثة أشهر ، وينبغى عليهم خلال تلك الفترة ان يبيعوا سلعهم ويشترون ما يحتاجون اليه من متاجر أخرى ، واذا ما تبقى شىء من متاجرهم ولم يتم بيعه ، ينبغى عليهم أن يخبروا والى المدينة بالفائض لديهم من السلع ، حتى يقوم باجراء ما يلزم للتخلص من هذا الفائض (١).

وكان والى المدينة (أى مدينة القسطنطينية) يشرف على التجار الأجانب ومنهم تجار الشام اشرافا دقيقا ، فكان الوالى يعين مندوبا من قبله يعرف باســم ليجــاتاريوس Legatarios ومن أهم واجبات هذا المندوب أنه ينهى الى والى المدينة بخبر كل من يدخلون مدينة القسطنطينية بالمتاجر أيا كان نوعها والجهات والبلاد التى جاءوا منها ، ويفحص ما يجلبونه الى القسطنطينية من بضائع وسلع

---

(١) كتاب والى المدينة ، ص ١٥٧ ، وانظر ايضا :

Lopez, Silk Industry in the Byzantine Empire, PP. 29-30.

ويخبرهم بشروط البيع فى العاصمة ، ويحدد لهم المدة (وكانت لا تتجاوز ثلاثة أشهر) التى يبيعون خلالها مامعهم من سلع ويشترون ما يحتاجون اليه ثم يغادروا المدينة بعد ذلك ، هذا وكانت مشترياتهم تراقب من قبل هذا المندوب بكل عناية للتحقق من أنهم لم يخالفوا اللوائح [1] .

أما عن التجار البيزنطيين الذين قدموا ببضائعهم الى الموانىء المصرية فما أن تصل سفنهم الى تلك الموانى حتى يتم تسجيل أسماءهم ، ونوع السلع التى يحملونها وكميتها ووزنها وسعرها ، ثم تفرغ ، ويقابل السماسرة والمترجمين التجار بعد ذلك ، ليعرفونهم بسعر السوق للسلع ، ثم تنظم عملية البيع ، ويبدأ عندئذ فى حساب الرسوم المفروضة ، وتخصم من ثمن السلع فى حالة شراء الدولة لهذه السلع أو يدفعها التاجر فى حالة بيع السلع للتجار ، وكانت الرسوم تدفع على السلع التى يتم بيعها بالفعل ، اما فى حالة رجوع تلك السلع وعدم بيعها فلا تدفع عليها رسوم [2] .

وكانت الرسـوم التى تحصل من التجـار البيزنطيين القادمين الى الموانىء المصرية وخاصة الاسكندرية ودمياط

---

(١) كتاب والى المدينة ، ص ١٥٥ ، ١٧٤ .

(٢) لمزيد من التفاصيل . انظر ، المخزومى ، كتاب المنهاج فى علم الخراج ، ص ٤٦ — ٤٩ .

هى الخمس ، يدفعه التاجر البيزنطى مرة واحدة فى السنة حتى لو تكرر قدومه الى مصر عدة مرات خلال العام الواحد [١] . وبعد أن يدفع التجار الخمس يحصلون مقابل ذلك على أذن أو ترخيص بالاقامة فى مصر لمدة عام [٢]. ونتيجة لهذه المكوس الجمركية تدفقت الاموال على مصر فى عصرى الطولونيين والاخشيديين بصورة لم تشهدها مصر من قبل ، فقد حصل الطولونيون من رسوم التجارة على مبلغ مليونى دينار [٣].

وتمتع التجـار البيزنطيون بالحـرية الكـاملة فى بيع متاجرهم بمصر وشراء ما يحتاجون اليه من منتجاتها ، وليس أدل على ذلك مما جاء فى رد الاخشيد على خطاب الامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس Romanus Lecapenus (٣٠٧ – ٣٣٣هـ/٩١٩ – ٩٤٤ م) من قـول الاخشيد : « وما انفذته للتجارة فقد امكنا أصحابك منه ، واذنا لهم فى البيع وفى ابتياع ما ارادوه واختاروه [٤].

---

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٣ .

(٢) ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٦٢ .

(٣) عطيه القوصى ، تجارة مصر ، ص ٦٩ .

(٤) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٧٢ ، القلقشندى، صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ١٨ .

وكانت المنسوجات الحريرية والكتانية فى مقدمة السلع التى أقبل التجار البيزنطيون على شرائها من أسواق مصر ، فعلى الرغم من تقدم صناعة الحرير فى الدولة البيزنطية الا ان كميات المنسوجات الحريرية التى كانت تنتجها المصانع الامبراطورية فى القسطنطينية لم تكن كافية لسد احتياجات البلاط والدولة من هذه السلع ، لذلك كان الاباطرة البيزنطيون — خلال القرن الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين — يشترون الاقمشة الواردة من مصر من أجل تزين قصورهم ، وتوزيع الهبات على حاشيتهم • وكثير من تلك المنسوجات الحريرية والكتانية الراقية المعروضة فى أسواق القسطنطينية كانت تنتجها مصانع تنيس ودمياط اذ يذكر ابن حوقل : « وفيهما يتخذ ويعمل رفيع الكتان وثياب الشرب والدبيقى ، والمصبغات من الحلل التنيسية التى ليس فى جميع الارض ما يدانيها فى القيمة والحسن والنعمة والترف والرقة والدقة »• (1)•

---

(1) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٤٣ ، المسالك والممالك ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

وانظر ايضا : اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٣٧ — ٣٣٨ ، ابن دقماق ، الانتصار ، ص ٧٩ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ١ ، ص ١٧٧ ، الشيال ، مجمل تاريخ دمياط ، ص ٦٩ — ٧٠ .

وأقبل التجار البيزنطيون كذلك على شراء الشب من أسواق مصر وهو من المواد الخام ، التى كانت تنتجها مصر وتحتاجها الدولة البيزنطية ، فالشب يستخدم فى الصباغة وخاصة صبغ الاحمر « وللروم فيه من الرغبة بمقدار ما يجدون من الفائدة ، وهو عندهم مما لابد منه ولا مندوحة عنه » على حد قول القلقشندى (١) .

وكان الشب يجمع من محاجره فى أسوان والواحات ويأخذ طريقه الى ساحل قوص وساحل اخميم وساحل أسيوط وساحل البهنسا ، ثم يحمل الى الاسكندرية عن طريق النيل حيث يصدر الى الدولة البيزنطية (٢) .

وحصل تجار القسطنطينية من أسواق مصر كذلك على الورق المصنوع من البردى ، والذى اشتهرت مصر بانتاجه، بل واستمر البيزنطيون يستخدمون هذا النوع من الورق حتى القرن العاشر الميلادى حينما كفت مصر عن صناعة

---

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٩ .
(٢) القلقشندى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٨٨ ، عبدالمنعم عبد الحميد ، البحرية الاسلامية ، ص ١٦٨ .

البردى ، وتدهورت صناعة القراطيس بها (١).

الآثار الاجتماعية والثقافية للروم (البيزنطيين) فى مصر عصرى الطولونيين والاخشيديين :

كان عنصر الروم من بين العناصر التىيتكون منها المجتمع المصرى فى العصر الطولونى ، فقد استعان بهم الطولونيون لخبرتهم ودرايتهم بالحياة المصرية والاقتصاد المصرى ، وقد تسرب العديد منهم داخل المجتمع المصرى نتيجة للحروب المتصلة بين المسلمينوالبيزنطيين وأسر عدد كبير منهم فى تلك الحروب (٢) ولا أدل على استعانة الطولونيين بالروم (البيزنطيين) من أن أحمد بن طولون عندما بنى القطائع فى شمال شرقى الفسطاط ، خص الروم بقطيعه منها سميت باسمهم وعرفت « بقطيعة الروم » (٣) وكانت القطيعة بمنزلة الحى أو الحارة يسكنها الروم ، مما يدل

---

(١) توفيق اسكندر ، بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ص ١٢١ — ١٢٢ ، سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ص ٢٩٣ .

(٢) محمود رزق « المجتمع المصرى فى العصر الطولونى » رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٤٣ .

(٣) المقريزى ، المواعظ جـ ١ ، ص ٣١٣ ، ٣١٥ ، ابن دقماق ، الانتصار ، ص ١٢١ .

على كثرة العنصر الرومى فى مصر فى ذلك الوقت .

وكثر عدد الروم أيضا فى مصر فى عصر الاخشيديين ، فكان للاخشيد حاجب رومى ، اذ يذكر ابن سعيد « أن الاخشيد كان له غلمان كثيرة ، واتباع من بينهم حاجبه وغـلامه « فاتك الرومى » (١) كذلك فى بـلاط كافـور الاخشيدى الفان من الغلمان الروم (٢) .

وقد عمل الروم خلال عصرى الطولونيين والاخشيديين فى الجيش والادارة فقد استخدم الامراء الطـولونيون العديد منهم فى ادارة شئون البلاد حتى قيل « فانقلبت الدولة رومية » (٣) وبخاصة فى عهد هارون بن خمارويه (٢٨٣ — ٢٩٢ هـ / ٨٩٦ — ٩٠٥ م) اذ كان الوصى عليه وقائد جيشه رومى يدعى (بخيحا) (٤).

وقام بعض هؤلاء الروم بالعمل فى دار الصناعة ، وفى الصناعات اليدوية المختلفة كالحدادة والحياكة ، ومنهـم

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٤ ، ص ٦ ، المقريزى ، المواعظ ، جـ ٢ ص ٢٧ . سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ١٤٧ ، مصطفى طه بدر ، مصر الاسلامية ، ص ٣١٤ .

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ١٠٣ .

(٤) محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ٤٦ .

من عمل بالفنون والموسيقى والطرب ، وبرعت الجوارى الروميات فى الغناء ، والضرب على الآلات الموسيقية ، بل وادخلت آلات جديدة على يد الروم هذا فضلا عن دخول ازياء كثيرة خاصة بهم مثل الديباج الرومى (١) •

وقد كان لعنصر الروم اثره الكبير على مجرى الحياة الثقافية فى مصر فى العصر الطولونى خاصة ، فقد ظهر فى هذا العصر شعراء ونحاة كان لهم منهجهم الخاص الذى لم يكن مألوفا عند اقرانهم من ابناء هذا العصر ، ومن هؤلاء الشاعر المعروف بابن الرومى والنحوى ابن جنى ، اما عن ابن الرومى فهو على بن العباس بن جريج ولد فى سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م، وله فى الشعر ميزات قلما اجتمعت لغيره من شعراء العربية ، هى اشبه بالروح الرومى • فقد عرف بأنه شاعر الاطالة والاستقصاء وتوليد المعانى (٢) •

اما النحوى ابن جنى فهو عثمان بن جنى الموصلى ، وكان ابوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الازدى ، ولعل اصل جنى Jonah وعربها العرب الى جنى • وكان ابن جنى غريبـــا فى تصـــوره النحو والصرف ، ذا مهـــارة فى

(١) احمد عبد الكريم ، المسلمون والبيزنطيون ، ص ٢٦٦-٢٦٧ ، محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ٤٤ •
(٢) احمد امين ، ظهر الاسلام ، ج ١ ، ص ٦٧ — ٦٨ .

التصريف والقياس والتعليل (١) • وهكذا جمع كل من ابن الرومى وابن جنى بين العربية منشأ ومربى وبين الرومية كعقلية ، ونتيجة لهذا المزج كان نتاجهما ذا مذاق خاص •

واقبل بعض أفراد المجتمع المصرى فى العصر الطولونى كذلك على الأخذ من الثقافة اليونانية ، والانتفاع بهـا والافادة منها ، فقد تأثر ابن الداية بحكم افلاطون ، فهو يشير فى كتابه (المكافأة) الى انه مغرم بافلاطون بصفة خاصة ويقتبس من حكمه ، وفى هذا الكتاب أكثر من اشارة الى معرفة ابن الداية بعلوم الاغريق واطلاعه على مؤلفات افلاطون (٢) •

وشاعت الثقافة اليونانية بين أوساط المسلمين فى مصر، ويظهر ذلك مما يرويه ابن الداية من أنه صحب رجلا من المسلمين الذين اشتغلوا بالطب ، ويدعى على المتطيب المعروف بالديدان ، وان هذا الطبيب « كان حسن المعرفة بكتب افلاطون ورموزه مبرزا فى الطب » (٣) •

---

(١) أحمد أمين ، ظهر الاسلام ، جـ ١ ، ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢) ابن الداية ، المكافأة ، ص ٤٣ ، حسن احمد محمود، حضارة مصر الاسلامية ، ص ٢٥٨ ، سيدة الكاشف ، أحمد بن طولون ، ص ٢٣٢ .

(٣) ابن الداية ، المكافأة ، ص ٤٢ وانظر ايضا :

=

والى جانب ذلك اسهم بعض المشتغلين بالطب والتنجيم فى ترجمة كتب ارسطو وافلاطون الى العربية ، ذلك لأن المشتغلين بهذه العلوم يتحتم عليهم معرفة العديد من اللغات حتى يتسنى لهم ترجمة ما يتصل بهذه العلوم وخاصة اليونانية ، فقد اشتهر يعقوب بن اسحق الكندى (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م) بمعرفة الطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك ، وبانه ألف وترجم وشرح كتب منها الهيات لارسطو والقول فى النفس ، كما قام سعيد بن بطريق (١)، وكان من أطباء الفسطاط المشهورين ثم أصبح بطريركا على بطريركية الاسكندرية بترجمة كتاب الحيوان ، وكتاب السماء والعالم لارسطو كذلك (٢) .

حسن محمود ، حضارة مصر ، ص ٢٦١ ، سيدةالكاشف، احمد بن طولون ، ص ٢٣٥ ، محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ٣٠٠ .

(١) ولد سعيد بن بطريق فى عام ٢٦٣ هـ /٨٧٧ ، وعاش فى الفسطاط ودرس الطب وكتب فيه كتبا عديدة ، وعين بطريركا لمدينة الاسكندرية فى عام ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ثم مات فى عام ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م .

انظر : سعيد بن بطريق ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، ٩١ .

(٢) محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ٣١٢ .

وهكذا يتضح ان علاقات الدولة البيزنطية بمصر فى عصر الطولونيين والاخشـــيديين كانت قـــوية ، اتصـــفت بالاستمرار والتنوع ، فلم تقتصر على ما كان بين الطرفين من حروب ومصادمات ، وانما تعدت ذلك الى العلاقات السياسية والاقتصادية وما صحب هذا وذاك من تأثيرات اجتماعية .

قائمة المصادر والمراجع

اولا : المصـــادر :

(١) المصادر العربية :

— ابن الاثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠ هـ/ ١٣٢٢ م) .

الكامل فى التاريخ ، المجلدان السابع والثامن بيروت (١٩٧٩ — ١٩٨٢ م).

— ابن تغرى بردى (جمال الدين ابو المحـــاسن يوســـف ت ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م) .

النجـــوم الزاهـــرة ، الجـــزءان الثـــالث والرابع ، القاهرة د . ن .

— ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .

المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ، الجزءان الخامس والسادس حيدر آبار الدكن ١٣٥٧ هـ .

— ابن حوقل (أبو القاسم بن حول النصيبى ت أواخر القرن الرابع هـ/ العاشر الميلادى) .

كتاب المسالك والممالك ، ليدن ١٨٧٢ م .

كتاب صورة الارض ، بيروت ١٩٧٩م .

— ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت حوالى ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م) .

المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج لقدامة ابن جعفر ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ ، بريل ١٨٨٩ م .

— ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)

العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الرابع ، القسم الاول بيروت ١٩٨٣ م .

— ابن الداية (ابو جعفر احمد بن يوسف ت ٣٣٠هـ أو ٣٤٠هـ/ ٩٤١ أو ٩٥١ م) .

المكافاة ، القاهرة ١٩١٤ م .

— ابن دقماق (ابراهيم بن المصرى ت ٨٠٩هـ /١٤٠٦ — ١٤٠٧ م) .

الانتصار لواسطة عقد الامصار ، بيروت عن طبعة بولاق ١٨٩٣ م .

— ابن سعيد الاندلسى (على بن موسى المغربى ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٥ م) .

المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الاول من القسم الخاص بمصر تحقيق زكى محمد حسن ، شوقى ضيف ، سيدة الكاشف القاهرة ١٩٥٣ م .

— ابن العديم (كمال الدين ابى القاسم عمر ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) .

زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سـامى الدهان الجزء الاول ، دمشق ١٩٥١ م .

— ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م) .

البداية والنهاية ، جـ ١١ ، بيروت ١٩٨٣ م .

— ابن مسكويه (ابو على احمد بن محمد ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)

تجارب الامم ، الجزء الاول (٢٩٥ — ٣٢٩هـ) مصر ١٩١٤م .
— البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد ت بعد عام ٣٣٠هـ/ ٩٤١ م) .

سيرة احمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد على
دمشق ١٣٣٩ م

— سعيد بن بطريق (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) .
كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق
بيروت ١٩٠٥ م .

— السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م)
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
القاهرة ١٩٧٦م

— الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م)
تاريخ الطبرى ، الجزءان التاسع والعاشر
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٩ م .

— القلقشندى (ابو العباس احمد بن على ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م)

صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، الجزءان الثالث والسابع
القاهرة ١٩١٤ — ١٩١٥ م .

— الكندى (أبو عمر بن يوسف ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب وتصحيح رفن كست
بيروت ١٩٠٨ م .

— مجهول المؤلف ، كتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق
ج ٤ (٢٥٦ — ٣٥٠ / ٨٧٠ — ٩٦١م) حققه عمر السعيدى
دمشق ١٩٧٢ م .

— المخزومى (ابو الحسن علي بن عثمان ت ٥٨٥ هـ / ١١٦٢م)
المنتقى من كتاب المنهاج فى علم خراج مصر
تحقيق كلود كاهن القاهرة ١٩٨٦ م .

— المسعودى (ابو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) .

التنبيه والاشراف ، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوى بغداد ١٩٣٨ م .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد الاجزاء ١ — ٤ ، بيروت ١٩٨٢ م .

— المقدسى (شمس الدين ابو عبد الله ت منتصف القـــرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) .

احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٦٧ م.

— المقريزى (تقى الدين ابى العباس بن على ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) . .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار مجلدان ، بيروت بدون تاريخ .

— النعمانى ، المجالس والمسايرات مخطوط مصور بجامعة القاهرة رقم ٢٦٠٦٠ جزءان .

— النويرى (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) .

نهاية الارب فى فنون الادب ، الجزء ٢٢ ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، القاهرة ١٩٨٤ م الجزء ٢٣ تحقيق احمد كمال زكى ، القاهرة ١٩٨٠ م .

— الهمذانى (محمد بن عبد الملك ت ٥٢١هـ/١١٢٧ م) .
تكملة تاريخ الطبرى ، المجلد ١١ ، تحقيق محمد ابوالفضل ،
القاهرة ١٩٨٢م.

— ياقوت الحموى (ابن عبد الله الحموى الرومى البغدادى
ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).
معجم البلدان ، بيروت ١٩٨٤م

— يحيى بن سعيد الانطاكى (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) .

تاريخه أو صلة كتاب سعيد بن بطريق ، بيروت١٩٠٥م.

(٢) المصادر البيزنطية :

— **Cameniata (Ioanne).**

De Excidio Thessalonicensi. In Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonnae 1838).

— Monachus (Georgius).

Vitae Imperatorum Recentiorum. In Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae. (C.S. H.B) Bonnae 1838.

— **Symeonis Magistri, Annales.**

in Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonnae 1838).

— Theophanes, Continuatus.

in Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, (Bonnae (1838).

ثانيا : المراجع :

(١) المراجع العربية :

— ابراهيم احمد العدوى « دراسات فى التاريخ البيزنطى »
مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى (اكتوبر ١٩٤٩) ص ٧٥ — ٩٣

— الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، القاهرة ١٩٥١ م .

— قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٦٣ م .

— الاساطيل العربية فى البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٥٧ م .

— احمد أمين ، ظهر الاسلام ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٤٥م.

— احمد عبد الكريم سليمان ، المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٨٢م .

— احمد محمد عدوان : « علاقات الدولة الحمدانية بالدول الاسلامية المجاورة » رسالة ماجستير غير منشورة (آداب عين شمس) ، القاهرة ١٩٦٨ م

— ادم متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٤٨ م .

— ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠م .

— أسد رستم ، الروم ، الجزء الثانى ، بيروت ١٩٥٦ م .

— اسمت غنيم ، « العلاقات السياسية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية » (٩٦٩ — ١٠٩٤ م) ماجستير غير منشورة ، جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ م .

— امينة بيطار ، الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة فى بلاد الشام (١٣٢ — ٣٥٨ هـ / ٧٥٠ — ٩٦٨ م) ، دمشق ١٩٨٠ م

— توفيق اسكندر ، بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، القاهرة ١٩٦١ م .

— حسن احمد محمود ، حضارة مصر الاسلامية (العصر الطولونى) ، القاهرة ، بدون تاريخ .

— العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، القاهرة ١٩٧٣ م
— مصر فى عصر الطولونيين ، القاهرة ١٩٦٠م .

— حسنين محمد ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٨٣ م .

— درويش النخيلى ، فتح الفاطميين للشام فى مرحلته الأولى (٣٥٨ — ٣٦٢ هـ) الاسكندرية ١٩٧٩ م .

— رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٦١ م .

— زكى المحاسنى ، شعر الحرب فى ادب العرب فى العصر الاموى والعباسى الى عهد سيف الدولة ، القاهرة ١٩٤٧م .

— سامى الكيالى ، سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، القاهرة ١٩٥٩ م .

— سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٧م .

— سعد زغلول عبد الحميد ، « الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى » مقال مستخرج من تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ اقدم العصور ، ص ٢١٧ — ٢٢٩ ، الاسكندرية ١٩٦٣ م .

— سعيد عاشور وعبد الرحمن الرافعى ، مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، القاهرة ١٩٧٠ م .

— السيد الباز العرينى ، كتاب والى المدينة ، منشـــور فى مجلة كلية الآداب ، م ١٩ جا مايو ١٩٥٧ م (ص ١٣٥ — ١٨٧ م) .

— الدولة البيزنطية (٣٢٣ — ١٠٨١ م) القاهرة ١٩٦٥ م .

— الحضارة والنظم الاوروبية فى العصور الوسطى ، القسم الاول ، بيروت عن طبعة ١٩٦٣ م .

— السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، الجزء الاول (البحرية الاسلامية فى مصر والشام) الاسكندرية١٩٧١م.

— سيده اسماعيل الكاشف ، أحمد بن طولون ، القاهرة ١٩٦٥ م .

— مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ١٩٧٠ م .

— الشيال (جمال الدين) ، مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا القاهرة ١٩٤٩ م .

— صابر محمد دياب ، ارمينية من الفتح الاسلامى الى مستهل القرن الخامس الهجرى ، القاهرة ١٩٧٨ م .

— المسلمون وجهادهم ضد الروم فى ارمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجرى ، القاهرة ١٩٨٤م.

— صفاء حافظ عبد الفتاح ، الموانى والثغور المصرية من الفتح الاسلامى حتى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٨٦م .

— عبد المنعم عبد الحميد ابراهيم ، « البحرية الاسلامية فى

العصر الفاطمى » ، ماجستير غير منشورة ، آداب اسكندرية ١٩٧٥ م .

— عطيه القوصى ، تجارة مصر فى البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦م.

— عليه عبد السميع الجنزورى ، الثغور الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٩ م .

— المرأة فى الحضارة البيزنطية ، القاهرة ١٩٨١ م .

— هجمات الروم البحرية على شواطىء مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨٥ م .

— فتحى عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى . ثلاثة اجزاء ، القاهرة ١٩٦٦ م .

— محمد ياسين الحموى ، تاريخ الاسطول العربى ،دمشق ١٩٤٥م .

— محمـود رزق محمـود ، « المجتمع المصرى فى العصر الطولونى » ، دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ١٩٨٥ م .

— محمود سعيد عمران (مترجم) ، قسطنطين السابع ، الادارة الامبراطورية ، بيروت ، ١٩٨٠ م

— معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ١٩٨١ م .

— مصطفى طه بدر ، مصر الاسلامية من الفتح الاسلامى حتى زوال الدولة الاخشيدية ، القاهرة ١٩٥٩ م .

— نقولا يوسف ، تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ، القاهرة ١٩٥٩ م .

— وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية (٣٢٤ — ١٠٢٥ م) الجزء الاول الاسكندرية ١٩٨٢ م .

— هايد ، تاريـــخ التجـــارة فى الشرق الادنى فى العصـــور الوسطى ترجمة أحمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥ م .

— هسى ، ج . م ، العالم البيزنطى ، ترجمة رأفت عبدالحميد ، القاهرة ١٩٧٧م .

(٢) المراجع الاجنبية :

Bréhier, L, Vie et Mort de Byzance, Paris, 1946.

— Le Monde Byzantin.

T. I. Les institutions de l'empire Byzantin.

T. II La civilisation Byzantine, Paris, 1950.

Canard, M, Histoire de la Dynastie des 'I'amdanides de Jazira et de Syrie.

T.I., Paris, 1953.

— «Une lettre de Muhammed Ibn Tugi Al-Ihsid, Emir Egypte a l'empereur Romain lécapène» dans Annales de l'Institute d'Etucles Orientales (1936) T. II PP. 189-209.

Cambridge Mediveal History Vol. 4 (1936).

Gibbon, E, The decline and Fall of the Roman Empire,

Vol. 5, London 1911.

Finlay, History of Greece, Vol. II.

Finlay, History of Geece, Vol. II

Oxford 1877,

— History of the Byzantine Empire, London, 1906.

Lane-Poole, S, A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1901.

Lebeau, Histoire du Bas-Empire

T. 13, Paris, 1832.

Lopez, «Silk Industry in the Byzantine Empire» in Speculum, Vol. 20 (1945), PP. 25-42.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, Oxford, 1936.

Vasiliev, Histoire de l'Empire Byzantin Vol. I, Paris, 1932.

— Byzance et les Arabes

T. II La Dynastie Macedonienne

Extraites des Sources Arabes

Bruxelles, 1950.

Zaky Mohamed Hassan, Les Tulunides,

Paris, 1933.

المحتويات

تم الطبع بالمراقبة العامة
لمطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى
مدير الادارة
البرنس حموده حسين
١٩٨٨/١١/١٠

رقم الايداع : ١٩٨٨/٧٧٩٢
الترقيم الدولى : ٣ — ٠٢٩ — ٢٣٨ — ٩٧٧

(مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٩٨٧/١٧٨٢/٥٠٠)